



الدكتور  
السيد محمد ديب

# شجرة الطائف في الجاهلية والإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

---

دار الفکر للطباعة والنشر  
بغداد - العراق



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

لقد يسرت لي بعض السنوات التي عشتها في مدينة الطائف أن أرجع إلى تاريخها القديم ، وساحرها المشرق ، فطالمت ما كتبه السابقون واللاحقون عنها ، وأحببتها وتملقت بها ، وتنسمت هوائها ، وتجوّلت بين وديانها وجبالها وقراها .

وكان كتاب ( الطبقات ) لابن سلام الجمحي نافذة أطلت منها على شعراء الطائف في العصرين الجاهلي والإسلامي ، غير أن هذه النافذة كانت ضيقة جداً ، فلم أر منها إلا خمسة شعراء ، وهم أبو الصلت بن ربيعة ، وابنه أمية ، وأبو عجين النقي ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عيد باليل . وترك الجمحي بعض الأسماء الأخرى التي غفل عنها ، أو تجاهلها ولم يذكرها ، وقال :

« وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب نلتقي تكون بين الأحياء ، نحو حزب الأوس والخزرج ، أو قوم يتأرون ويقاتلون عليهم . والذي قتل شعراً فريش أنه لم يكن بينهم نائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قتل شعراً من أهل الطائف في طرف ، (١) وكان ما كتبه عن هؤلاء الشعراء قليلاً جداً لا يتجاوز عدة حتمت ذكراً فيها مجموعة

---

(١) طيفاً به لحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج ١ ص ٢٨٩ (تحقيق محمود محمد شاكر) .

من الأخبار والأشعار ، ولهذا رجعت إلى كل ما تيسر لي الرجوع إليه  
لدراسة شعراء الطائفة في تلك الحقبة دراسة موسعة تشمل من كان منهم  
من قبيلة ( ثقيف ) أو من غيرها .

وقد تجلّى أثر البيئة في شعر ( الطائفيين ) بمستويات مختلفة ، فصنع  
كل أمة قطعة من حياتها وتأموس معيشتها ، يقطعها الشعراء بما يفتنّها ويملأ  
بها من حوادث الدهر وعوادي الزمان .

وحرصت على دراسة كل شاعر دراسة مستقلة تكشف عن مدى  
ارتباطه ببيئته ، وترصد مناخ الفوارق التي تميزه عن غيره ، وبدأت  
الكتاب بتمهيد رأيت ضرورياً للتعرف من خلاله على مكانة هذه المدينة  
في الجاهلية وبعدها ، ووصفت مشاهدته فيها في العصر الحاضر ، ثم  
قسمت الحديث عن الشعراء إلى باين ، جعلت الباب الأول خاصاً  
بجاهليين ، وتكلمت في الفصل الأول عن أمية بن أبي الصلت ، فهو  
شاعر متفرد ، وذو مكانة مرموقة استهوت القدماء والمحدثين للتعرف  
عليها ، والكتابة عنها وبحسب أساليبها ، بل إن عدداً من المستشرقين قد لقوا  
في عذائه للإسلام ، ورثائه لقتل المشركين في بدر ما حفزهم على قراءة  
ديوانه ، والتنقيب عن شعره .

وتحدثت في الفصل الثاني عن ذي الإصبع العدواني ، ذلك الشاعر المتفرد  
الذي برز في قول الحكمة ، والدعوة إلى الحب والسلام ، أما الفصل  
الثالث فكان عن ثلاثة من الشعراء المقلين وهم غيلان بن سلة ، وكنانة  
ابن عبد ياليل ، وأبو الصلت بن ربيعة .

وبات من الواضح أن أمية ( الثقي ) كان أبرز من أفرزتهم الطائفة  
في نهاية العصر الجاهلي ، ولذا استحق أن يكون المقدم في الذكر  
على الآخرين .

وقد عقدت الباب الثاني للشافي الحديث عن شعراء الطوائف في النص الإسلامي، ونقصد به عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية، وتحدثت في الفصل الأول عن الشاعر أبي عجمن الثقفي، وهو الذي برز في شعر البحر والفروسية، فهذان اللذان كانا أصدق تعبير عن علاقة الشاعر ببنيته، فقد شرب البحر، وتحدث عنها من خلال إقامته في الطوائف التي كانت ذات شهرة كبيرة في زراعة العنب وصناعة الزبيب، كما نبغ في الجهاد، حيث أبلى بلاء حسناً في قتال المسلمين للفرس.

أما محمد بن عبد الله النخعي الذي خصصت له الفصل الثاني فكان صاحب نسيب في زينب أخت الحجاج التي تقول فيها بعفة، وكأنه من البادية وليس من الحاضرة، وكان شاعراً ملتزماً بالأصول والأعراف التي تفرضها المبادئ الإسلامية والمعايير القبلية، وجاء الفصل الثالث الحديث عن يزيد بن الحكم، ذلك الشاعر الذي خبر النفوس، وحالها تحليلًا نفسيًا في القصائد التي اتجه بها إلى بعض أقرابه، وقد تجلت في (يزيد) الثقة بالنفس والترفع عن الدنيا، ورفض التزلف بما أهله - حسب وجهة نظري - لأن يكون شاعر تقيف في الإسلام.

وكان العرجي الذي تكلمت عنه في الفصل الرابع شاعر الحب والطموح. أما الحب فقد دفعه لأن يتعقب الجميلات، ويتنول فيهن بأرق النول وأجمل الشعر، أما الطموح فقد دفعه لأن يقضي تسع سنوات من عمره داخل السجن إلى أن مات فيه لعدائه مع والي مكة. ويزيد ابن ضبه - الذي ذكرته في الفصل الخامس - شاعر من الموالى، وقد أفتد شعره في المدح والنول والطرده، وقال ألف قصيدة اقتسمها شعراء العرب، ولم يبق له إلا القليل. وطرح الثقفي شاعر متخصص في مدح (الوليد بن يزيد) وطاصر بعض الخلفاء من الدولة العباسية. وتحدثت عنه في الفصل السادس:

نت أما الفصل السابع والآخر فقد تحدث فيه عن ثلاثة من المقلين وهم  
القاسم بن أمية والمغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف .

وجملت القائمة لبحث ملاح مولاه الشعراء ، وبيان النتائج  
المستفادة من هذه الفصول ، وانتهى الكتاب بقائمة للمصادر والمراجع  
التي اعتمدت عليها عند التأليف .

وآمل أن أكون قد وفقت في دراسة كل ما عرضت له ، ساعداً  
المولى سبحانه وتعالى أن ينجيني الخطأ والزلل ، فهو نعم المولى  
ونعم النصير .

دكتور / السيد محمد أحمد ديب

المطبعة بالقاهرة في ٢ / صفر ١٤١٠ هـ .

٢ / سبتمبر ١٩٨٩ م .

## تمهيد

ذكر الأستاذ عثمان الصبني ثبناً بالكتب والرسائل والمؤلفات التي تحدثت عن الطائف قديماً وحديثاً في معرض تقديمه لكتاب (نشر الطائف في قطر الطائف) للعل بن محمد الكنانى ، وأورد منها تسعة وعشرين مؤلفاً من بين الكتابات التي عرضت بالبحث والتحقيق والدراسة لهذه المدينة التاريخية .

وفضلاً عن العدد السابق نجد كثيراً من المؤلفين يتحدثون في كتبهم عن الطائف ، فهي إحدى مدن الحجاز ، أى أن حديثهم عنها جاء مقروناً بما كتبه عن مكة المكرمة أو غيرها من المدن الأخرى ، ومن هؤلاء البلاذرى في كتابه (فتوح البلدان) وخير الدين الزكلى في كتابه (مأرايت وما سمعت) والدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) .

ولأننى أن الطائف قد لقيت إهمالاً من المؤلفين ، بل لقيت العناية والاهتمام .

فألقدهاء وضعوا عنها المؤلفات والرسائل المتعددة لى تتناسب مع طبيعة منهجهم فى الكتابة عن البلدان ، أما المحدثون فلم يدخلوا بدراساتهم عنها ، إلا لما من أهمية بالغة تاريخياً وجغرافياً .

ففى البلدة التى ارتحل إليها الرسول ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة ، ولعله أراد أن تتقل دعوته إليها بيسر وسهولة ، لشدة الارتباط بينها وبين مكة ، خاصة وأن القرشيين يرتحلون إليها ، ويقضون صيفهم ، بها



طبيب هوائها ، وكثرة ذروعها ، ووفرة الفواكه فيها ، وقد قال محمد بن عبد الله الفيرى يصف أخت الحجاج بالترف والنعمة :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وربما جن الرسول ﷺ — بارتحالها إليها — إلى طفواته المبكرة ، ووضعته من حليمة السعدية ، فالمعروف أن منازل بني سعد تقرب من الطائف وتليها (إداريا) الآن .

وقد ذهب الرسول ﷺ إلى الطائف مرة أخرى بعد فتح مكة ، وحاصرها ما يقرب من شهر ، وتركها بدون الدخول مع أهلها في قتال ، وإن استشهد فيها أثناء الحصار بعض المسلمين ، والذين بقيت قبورهم إلى الآن بجوار مسجد عبد الله بن عباس شاهدة على أحداث التاريخ .

وشاءت إرادة الله أن يدخل هذا البلد في الإسلام سلباً عندما ارتحل جماعة من أهل الطائف إلى الرسول وهو بالمدينة المنورة ، وأفضوا إليه يرغبهم في الإسلام ، وهكذا توالى اتصالات الرسول ﷺ بهذا البلد على فترات متباعدة أحياناً وتلاحقة في أحيان أخرى .

وترجع أهمية الطائف وعناية المؤلفين بها — بدرجات متفاوتة — إلى عدة أمور منها :

#### ١ — موقعها :

تقع الطائف في الجنوب الشرقى من مكة المكرمة ، وتحتل الجزء الجنوبي من جبال الحجاز (السروات) ويزيد ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ما بين ألف وسبعمائة متر إلى ألفين وخمسمائة متر ، حيث يبلغ هذا الارتفاع ذروته في جبال الشفا ، ولهذا اشتهرت منطقة الطائف عموماً

بطيب هوائها ، وجودة مزارعها ، وعرف الجبل الذي تقبع فوقه باسم  
الغزوان ) وهو من أبرد الأماكن في الحجاز .

ترتبط الطائف بمكة المكرمة بأكثر من طريق ، ولذا تختلف المسافة  
بينهما من طريق إلى آخر ، وقد أعدت المملكة العربية السعودية طريقين  
مشهورين : أولهما طريق الهدى ، وتبعد الطائف عن مكة من خلاله خمسة  
وثمانين كيلو مترا تقريبا ، وثانيهما طريق السيل ، وتصل المسافة بين  
المدنتين من خلاله إلى ما يقرب من مائة وخمسة عشر كيلو مترا .

وقد عرفت الطائف بهذا الاسم نسبة إلى السور المبني حولها والملقب  
بها ولذا قال أمية بن أبي الصلت :

نحن بنينا حائطا حصينا يقارع الأبطال عن بنينا  
فالهدف المباشر من السور هو حماية المدينة من الأعداء ، حتى ضرب  
المثل بمناعتها فقليل :

متعنا أرضنا من كل حي كما امتعت بطائفها ثقيف

وذكر المؤرخون والجغرافيون العديد من الروايات عن سبب  
التسمية والهدف من السور الذي أقيم حولها ، وليرجع من شاء إلى هذه  
الروايات في مظانها (١) . ولم تعد الطائف قاصرة عما كان داخل

---

(١) انظر مثلا معجم ما استعجم للبكري - ١ ص ٦٧ طبع لجنة  
التأليف والترجمة والنشر ، ومعجم البلدان لياقوت - ٤ ص ٩ طبع دار  
صادر بيروت ، وغيرهما من المؤلفات القديمة والحديثة .

السور (١)، بل صارت تشمل العديد من القرى والأودية والجبال التي تقع كلها على جبال السروات .

وقيل إن الطائف كانت تسمى ( و ج ) قبل أن يلبث السور حولها، على أن الروايات القديمة لا تقدم صورة واضحة لهذه المدينة ، بل يكتنفها الغموض الشديد ، خاصة وأن المنطقة فقيرة في الآثار التي تسهم في جلاء الحقيقة التاريخية القديمة ، كما نلاحظ التضارب الشديد بين العديد من هذه الروايات ، ولكن لا خلاف على أهمية السور بالنسبة للطائف ، فلم يستطع الرسول وجيوشه التي انتصرت في مواقع كثيرة أن يقتحم هذه المدينة ، لناعية حصونها واستبسال أهلها في الدفاع عنها .

#### ٢ - اعتدال مناخها وكثرة المزارع بها :

لقد أسهم موقع الطائف في اعتدال مناخها على مدار السنة ، وإن مال طقسها إلى البرودة في الشتاء ، بينما تتراوح درجة الحرارة بين ثلاثين وخمس وثلاثين صيفاً ، وهي معدلات ممتازة بالنظر إلى مدن الحجاز الأخرى .

وتتكون الطائف من أودية وهضاب وجبال شاهقة الارتفاع وقرى صالحة للزراعة ، وقد هيأ هذا التنوع للمنطقة أن تكون مزروعة كبيرة تنفد مكة وماعداها بالحضراوات والفواكه طوال السنة ، كما تميزت المدينة بهذا الأزدهار الزراعي حتى قيل في التعريف بها : ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية على ظهر جبل غروران ، (٢) .

(١) أبريل السور المحيط بالطائف عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٤٦ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

وهي - كما قال عرام بن الأصمغ: - ذات موارد ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه . وبها مياه جارية ، وأودية تنصب منها إلى تباله (١).

وتحدثت مجلة الفيصل في تحقيق لها عن انتشار الزراعة بالطائف فقالت : « إن هذا التنوع في المناخ والتضاريس الأرضية ، وخصوبة الأرض أدى إلى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في هذه المدينة على سائر مدن الحجاز ونجد ، ونتيجة لانتشار الزراعة على نطاق واسع فقد أصبحت هذه المدينة المكان الذي يسر الزائرين ، ويشرح قلوبهم ، فقد قال الأصمغى ( دخلت الطائف وكأني أبشر وقلبي ينضج بالسرور ، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها وطيب نسيمها ) (٢) .

ولم تعد الزراعة في الوقت الحالى بالصورة التى تحدث عنها القدماء وبعض المعاصرين الذين لم يشاهدوا هذه المدينة ويعيشوا فيها حيث يعجب الناس بما سطره المؤرخون عنها ويظنون أن أرضها مازالت على الصورة القديمة التى تحدثت الكتب بها ، فقد سحبت المياه التى كان يستفاد منها في رى الأرض ، وجرفت عليها ، وأعدت لاستعمالات السكان الذين زادوا عن ذى قبل بصورة كبيرة ، إذ أن كثيراً من سكان القرى قد استقروا في المدينة وزادت الحاجة إلى المياه وأعتقد أن الأمور ستتغير إلى صالح الزراعة بعد وصول المياه المحلاة من البحر إلى مدينة الطائف .

---

(١) أسماء جبال تهامة ومكانها لعرام بن الأصمغ السلبى ص ٤٢٥  
(المجموعة الثامنة من نواذر المخطوطات لعبد السلام هارون) الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م بمطبعة الحلبي .

(٢) الفيصل - السنة الأولى - العدد الرابع شوال ١٣٩٧ هـ (سبتمبر ١٩٧٧ م) ص ٤٥

وقد صارت الزراعة - الآن في ظل استغلال المياه للشرب -  
قاصرة على بعض الأودية والروابي العالية والموارد الصغيرة التي ينهض  
بها الأفراد بدعم من الدولة ، وقد شاهدت العديد من أنواع الخضر  
والفواكه التي تزرع في منطقة الطائف ومن أهمها العنب والمشمش والتين  
والرمان بالإضافة إلى أنواع كثيرة من الخضر مثل الخيار والطماطم  
وغيرهما .

أسهم مناخ المدينة وطقسها الجليل في إقبال الناس عليها والإقامة فيها  
بعض شهور العام ، وبها مساكن كثيرة لا تفتح أبوابها إلا صيفاً  
عندما يأتي إليها أصحابها من جدة ومكة والرياض ، حيث تتميز الطائف  
بوجود الأماكن التي تتلاءم مع النزهة والارتحال مثل وادي محرم وجبال  
الهدى ومنطقة الردف وجبال الشفا وغيرها . . .

ولذا قال أحد الباحثين : « وتعتبر الطائف منطقة اصطيف لأهل مكة  
وغيرهم من أهل الحجاز ، حيث المناخ المعتدل ؛ لوقوعها على سفح عال من  
سفوح جبال السراة الحاجزة بين الحجاز وقلب شبه الجزيرة العربية ،  
وقد جعلها وقوعها على منبسط فسيح خصب التربة كثير المياه بارد الهواء ،  
كثير الفواكه والزروع كالمصيف يلجأ إليها الناس في أشهر الصيف إذا اشتد  
الحر بهم » (١) .

وهكذا نلاحظ أهمية موقع الطائف وطيب هوائها وكثرة الفواكه بها ،  
حتى صارت مصيفاً لأهل مكة قديماً ولشكل المملكة العربية السعودية  
حديثاً .

---

(١) الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية للدكتور عبد الجبار منسى  
ج ٥٨ نشر دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م الطبعة الأولى .

٣ - إقامة قبيلة ثقيف بها :

تختلف الطائف في مكوناتها المكانية عن أى بلد آخر قديماً وحديثاً . فقد ورد أنها كانت تسمى بـ ( وج ) ، ثم سميت بالطائف ( قبل الإسلام ) ، ورأى البعض أن التسمية قد تكون بسبب وجود اللات بهاء وهو المعبود الرئيسي للثقيفيين حيث كانوا يعظمونه ويطرفون حوله (١) .

وترتبط التسمية بـ ( وج بن عبد الحى ) بفترة حكم العماليق ، ثم أعقبها فترة دانت فيها لبقايا من ثمود ، إلا أن تاريخ هذه الحقبة ليس واضحاً على الإطلاق . . مع أن اللات بقيت في هذه المنطقة حتى هدمت على عهد الرسول ﷺ . . ولا شك في أن الذين عاشوا بالطائف قبل الإسلام كانوا قنات مختلفة تتفاوت في القوة والكثرة .

ولقد تحدثت الكتب والمراجع عن إقامة قبيلة ثقيف بها ، وأفاض البكرى وياقوت وغيرهما عن دخول الثقيفيين لهذه البلدة واستقرارهم بها ، مع أن الطائف لم تكن مستقراً لكل ثقيف . كما أنها لم تكن قاصرة عليهم ، ففيها جماعات من قريش وهذيل وهوازن وغيرهم ، فيقول ياقوت : « وجل أهل الطائف ثقيف وحير وقوم من قريش ، وهى على ظهر جبل غزوان وبغزوان قياقل هزيل » (٢) .

ويعود تاريخ الطائف في إحدى مراحلها الأولى إلى قبيلة عدوان التى استقرت بها زمناً طويلاً ، وظهر من بينهم علماء وشعراء ، ولا زالت

(١) انظر المرجع السابق ص ٦٩

(٢) معجم البلدان ج ٩ ص ٩

كتب الأدب والتاريخ تذكروا بكل تقدير إلا أن تاريخ (عدوان) لم يلبث أن اندثر بسبب الحروب كما يقول البكري أو بسبب قبيلة (ثقيف) كما يروي ياقوت .

وقد جله في مجسم ما استعجم ما يأتي : « ووقعت بين عدوان وجرب ، ففرقت جماعتهم ، وتشتت أمرهم ، فطمعت فيهم بنو عامر ، وأخرجتهم من الطائف ، ونفروهم عنها ، وفي ذلك يقول جرثان بن محرث ذو الإصبع المدواني :

يثنى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض  
وهم يروا ثقيفاً ذا ر لا ذل ولا خفض (١)

يبدأ ذكر ياقوت أن ثقيفاً قد نزلوا الطائف وعاشوا بها متجاوزين مع عدوان إلى أن أخرجوهم منها قال : « فلم يزل ثقيف مع عدوان حتى كثروا له ، وربوا وقوى جأشهم ، وجرت بينهم وبين عدوان هزات وقعت في خلالها حرب انتصرت فيها ثقيف ، فأخرجوا عدوان عن أرض الطائف ، واستخلصوها لأنفسهم ، ثم صارت ثقيف أعز الناس بلداً ، وأمنه جانباً ، وأفضله مسكناً ، وأخصبه جناياً ، مع توسطهم الجحاز والحاطة قبائل مضر واليمن وقضاعة بهم من كل وجه فحمت دارها ، وكلوحت العرب عنها واستخلصتها ، وغرست فيها كرومها ، وحفرت بها أطواماً وكفلائها . . . (٢) » .

وهكذا تأكد لنا اختلاف المؤرخين حول استقرار العالقة بمودها وبشيوخ عدوان منها ودخول ثقيف فيها .

(١) مجسم ما استعجم للبكري ص ١٠٧

(٢) مجسم البلدان لياقوت ص ٤٠

ولما ظهر الإسلام كانت ثقيف في أفضل عصورها ، وأزهى قوتها ، حيث برز منها مجموعة من الرجال الذين حققوا لها مزيداً من الشهرة والذیورع ، سواء في الشعر أم في السياسة ، أم في غيرها من مجالات الحياة .

أما نسب ثقيف فقد اختلف الإخباريون فيه أيضاً بمثل اختلافهم في الروايات الكثيرة التي وضعت عن هذه القبيلة في الجاهلية والإسلام .

ويحرص أهل ثقيف على الزراعة ، فيشتغلون بها ، ويعنون بغرس الأشجار ، ويسعون إلى جلب أنواع جديدة منها ، وهم كما يقول الدكتور جواد علي : « حضر مستقرون متقدمون بالقياس إلى بقية أهل الحجاز » (١) .

كما يميلون إلى الحرف اليدوية مثل الدباغة والتجارة والحداة وغيرها .

ومن رجال ثقيف في الجاهلية والإسلام أمية بن أبي الصلت ، وكنانة ابن عبد الليل . والحارث بن كلدة والمغيرة بن شعبة ، وغيلان بن سلمة ، وأبو محجن النقي ، والختار بن أبي عبيد ، والحجاج بن يوسف ، ومحمد ابن قنهم وغيرهم ، وقد دخلت ثقيف في الإسلام مسلحاً بعد أن امتنعت ديارها على جيوشه الرسول ﷺ قرابة الثلاثين يوماً .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - ص ١٥١ الطبعة الأولى ١٩٧٠ م بيروت (دار العلم للملايين) .



٤ - وجود العديد من الآثار بها :

تتنوع الآثار بمنطقة الطائف كالمساجد والجبال والمضارب والحصون وسوق عكاظ وسور الطائف وبعض الأودية وغيرها ، إلا أن أكثر هذه الآثار قد تغيرت معالمه . أو اختفت تماماً إما لطول الزمن ، أو لعدم العناية بها ، أو للحرص على إزالتها مثل سور المدينة الذي لم يبق منه إلا بعض العلامات كباب الريح ، والذي لا يشعر بوجود سور ، وإن كان الناس في الطائف يتحدثون عن تاريخ هذا السور ، عندما يوازنون بين الماضي والحاضر . ونعرض الآن لأهم الآثار التي تشتهر بها الطائف .

(أ) مسجد عبد الله بن عباس :

مات عبد الله بن عباس بالطائف . ودفن بالمكان الذي فيه المسجد اليوم وقد بنى المسجد الذي نسب إليه في عهد الدولة العباسية أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستنصر العباسي ، وقد كان المسجد ولا زال موضع العناية من المسئولين ، إذ أنه مجاور لقبور الصحابة الذين استشهدوا في حصار الرسول ﷺ للطائف .

وفي القرن الحادي عشر نهي الشريف زيد بن محسن عن العفن فيه خوفاً أن يتحول المسجد كله إلى مقبرة ، وأمر أن تقام صلاة الجمعة فيه في الثالث من جمادى الأولى عام ( ١٠٥٤ هـ ) ، ثم استقل المسجد بنفسه ، وانفصلت المدافن عنه ، واتسعت الأرض الفضاء من حوله (١) .

وقد تحدث عنه خير الدين الزركلي فقال : « وهو متسع مستطيل ينسب »

(١) تنفذ فيها الآن أحكام الإعدام .

إلى ابن عباس لأنه مدفون فيه . وقد كان وما زال موضع عناية زائريه .  
كلما تخرب منه جانب عمر . . (١) كما تحدث عنه كل من زار الطائف من  
القدماء والمحدثين .

#### ( ب ) مسجد عداس :

يقع مسجد عداس بالمشاة . وهي واحدة من ضواحي الطائف ، التي  
وصل العمران بينها وبين المدينة من بعض الجهات . وصارت واحداً  
من أحيائها . ويقع المسجد على جانب من نهاية ( وادي وج ) وفي أطراف  
هذا الحى ، وتبعد الدور والمنازل عنه قليلا ، وهو مسجد صغير جداً ،  
وينسب إلى عداس ( النصراني ) .

وقد التقى الرسول ﷺ بعدادس في هذا الموضع ، ثم دفن فيه عداس  
وأقيم المسجد عليه والذي لا زال حتى اليوم شاهداً على ملاقاه الرسول  
إبان رحلته إلى الطائف عندما لجأ إلى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة يحتضن  
به من أذى السفهاء والمشركين . وفي هذا المكان جلس الرسول ﷺ  
واتجه إلى ربه قائلاً : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني  
على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من  
تسكني ! إلى بعيد يتجهمني أو عدو ملكته أمرى ! إن لم يكن بك غضب  
على فلا أبالي ! لكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت  
به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك  
أو تحمل علي سخطك . لك العتي حتى ترضى . ولا حول ولا قوة  
إلا بالله . . .

(١) ( ما رأيت وما سمعت ) لحير الدين الزركلي ٩٢ ص نشر مكتبة  
المعارف بالطائف .  
(٢ - شعراء )

لم يكن في رحلة الرسول ﷺ من معروف إلا ما صنعه ابنه ربيعة وفتاها عداًس الذي أقبل على الرسول مقبلاً رأسه وقدميه .

أما المسجد في العصر الحاضر فقد تأثر ببعده قليلاً عن قلب المدينة، فلم يتحقق له من التوسعة والعمارة ما يتحقق لغيره من المساجد الأخرى .

#### (ج) سوق عكاظ :

لا يمثل سوق عكاظ أثراً بارزاً يمكن التعرف عليه لقراءة حوادث الزمن من خلاله، وإنما تعود أهميته إلى تاريخه الخافل بالنشاط السياسي والأدبي والتجاري، حيث كانت العرب تجتمع فيه كل سنة في أول ذي القعدة لمختلف شؤنها . ويمكثون فيه عشرين يوماً ينصرفون بعدها إلى سوق آخر .

وقد تحدث القدماء والمحدثون عن عكاظ، وربطوا أكثرهم بينه وبين مدينة الطائف لوقوعه في منطقتها . ولم يعد أبناء المدينة يذكرون لهذه السوق إلا اسمها، أما الموقع فلا يقل اختلافهم حوله عن غيرهم من القدماء أو المحدثين عن ليسوا (طائفيين)، وكانت عكاظ أعظم أسواق العرب، وكانت تقوم في سهل منبسط بين مكة والطائف، وتحديد أكثر بين نخلة (١) والطائف .

ومن تحدث عنه من القدماء صاحب كتاب (أسماء جبال تهامة) قال : صحراء ستوية ليس لها جبل ولا علم إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية (٢) وفلاحظ أنه لم يذكر وظيفة ودورها في خدمة الأدب

(١) نخلة : هي السيل الكبير الآن .

(٢) أسماء جبال تهامة (نوادير المخطوطات) المجموعة الثامنة ص ٤٤

على عكس ياقوت الحموي الذي كتب عنها يقول : « اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، وكانت قبائل العرب تجتمع بمكاظ في كل سنة » ويتفخرون فيها ، ويحضروا شعرا وم ، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يثرقون ، (١)

لقد تضاربت الأقوال حول موقع السوق ، ولم يستطع أحد أن يميز برأى حول مكانها الحقيقي ، ومن كتب عن موقعه وأهميته من المحدثين والمعاصرين الأمير شبيب أرسلان في كتابه (الارتسامات الطائف) وخير الدين الزركلي في كتابه (مأرايت وما سمعت) والدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) كما كتب عنه الصديق الأستاذ / مناحي ضاوي القشاش في كتابه (تاريخ الطائف) فقال : « هو في ذلك المكان الذي يلتقي فيه وادي مشرب ووادي الأغيطر عند ملتقى ماء المبعوث على يمين الداهب إلى الرياض عبر الطريق المسفلت بمسافة أربعين كيلومترا من الطائف شرقا عند الآثار الموجودة الآن هناك ، وجنوب غرب منه (حرة الخالص) ومنه أكمة العبلاء القديمة ، (٢)

كما أخرج نادي الطائف الأدبي كتابا بعنوان (سوق عكاظ في التاريخ والأدب) جمعت فيه أكثر الآراء التي قيلت عن موقع هذه السوق ، ولا يكاد اثنان من أصحابها يجتمعان على رأي واحد ، ولكن لا خلاف على أنها كانت تقام بالقرب من مدينة الطائف . وفي ضاحية من ضواحيها .

هذا هو الموقع الذي كان يقام فيه سوق عكاظ في الجاهلية

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ١٤٢  
(٢) تاريخ الطائف قديماً وحديثاً . مناحي ضاوي القشاش ص ٦٥ طبع  
بنادي الطائف الأدبي - الطبعة الثانية . والأستاذ مناحي أديب وباحث  
من أبناء الطائف وعضو مؤسس وعضو مجلس إدارة النادي الأدبي بها :  
وقد طبع كتابه المذكور مرتين .

ويرجع ضعف الثقة في كل تحديد حديث لموقع السوق إلى عدم عناية القدماء بتدوين تاريخها في بطون الكتب، أو على الآثار الأخرى التي يطمئن إليها، ويوثق فيها، كالم تذكر المصادر السنة التي اتخذت فيها سوقاً لأول مرة، وإن قيل إن ذلك كان في الجاهلية بعد عام الفيل بخمس عشر سنة (١)، وتحدث أحد الباحثين عما كان يجري في هذه السوق فقال: «وهذه السوق كانت تباع مختلف التجارات والسلع الثمينة التي كانت تحملها قوافل التجارة من الشمال والجنوب والشرق والغرب، وكانت لتجارة قريش نصيب أكبر فيها لقربها من مكة وسيطرتها على تجارتها، وحتى البضائع المسروقة والمسلوبة كانت تباع فيها، هذا بالإضافة إلى قيام المناظرات والمباهاة والمسابقات في قول الشعر والخطابة والبلاغة. وكثيراً ما كانت تعقد فيها مجالس الصالح والتحكيم بين القبائل فتحل المشاكل المعقدة. وفيها تحمل الديون والإتاوات إلى أصحابها. ومع أن عكاظ كانت تقوم في الأشهر الحرم فإنها لم تنتج من قيام الحروب فيها كحرب الفجار مثلاً، وكانت لمنتجات الطائف المختلفة من زراعية وصناعية مكافة كبيرة فيها وبخاصة عن طريق قريش آنذاك» (٢).

فلم تسكن السوق - إذن قاصرة على أحاديث الشعر والنثر، بل تجاوزت أشكال الأدب إلى ألوان متعددة من الفنون والتجارة والحروب - كما ذكر أن الرسول ﷺ ذهب إليها، وسمع بها خطبة قس بن ساعدة الإيادي وأعجب بها، ودعا لقس فقال: «رحم الله قسا، إنى لا أجد أن يبعث يوم القيامة أمة وحدة».

(١) انظر كتاب (في منزل الوحي) للدكتور هيكمل ص ٣٦٤، ٣٦٥  
طبعة دار المعارف بمصر.  
(٢) الطائف للدكتور عبد الجبار منسى ص ٦٧

وقد بقيت السوق إلى أن نهى الخوارج في عام (١٢٩ هـ) واندثرت  
مع الأسواق الأخرى في هذا التاريخ تقريباً .

• - كلة أخيرة حول الطائف :

لقد شاهدت الطائف ، وعشت فيها ، وصعدت جبالها ، وتجولت بين  
أوديتها وقراها ، وتعرفت على حصونها وبقايا سورها القديم ، وتسمت  
هوامها وعيرها البديع ، ولذلك فأتى عندما أكتب عنها فأتما أكتب عن  
كثير مما شاهدته وقرأت عنه في مؤلفات القدماء والمحدثين .

وتتميز الطائف - فضلاً عما ذكرت - بكثرة المشاهير من علمائها  
وأبطالها وأدبائها وشعرائها في الجاهلية والإسلام ، وكان أكثرهم من قبيلة  
ثقيف بينما كان بعضهم من القبائل الأخرى التي عاشت في الطائف إلى  
سجوار هذه القبيلة ذات النفوذ الكبير ، وبخاصة في الفترة التي واكبت  
ظهور الإسلام .

وقد سجلت بعض الكتب الحديثة أجداد الطائف وما أثر رجالها في  
أشты المجالات تذكر منها كتاب ( الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية )  
للدكتور عبد الجبار منسى العبيدي ، وكتاب ( الطائف في العصر الجاهلي  
وصدر الإسلام ) للدكتور نادية حسنى صقر ، وكتاب ( شعراء ثقيف في  
العصر الأموي ) لمؤلفه عيسى بن عبد الغفور الصواط وغيرهما ، كما كتب  
عنها كثير من المؤلفين فصولاً من كتبهم ، وسبقت الإشارة إليها في هذا  
التحيد ، وكما سوف نشر إليها ، ونستشهد بها في بعض الفصول التالية من  
هذا الكتاب .



## الباب الأول

### شعراء الطائف في العصر الجاهلي



## الفصل الأول

### أمية بن أبي الصلت

شاعر ثقيف في الجاهلية

١ - شاعر منفرد :

شاعرنا هو أمية بن أبي الصلت الثقيف . الذي حل لواء الشعر في ثقيف في سنوات الجاهلية القريبة من الإسلام ، فقد أدرك بدراً ورثى قتلاً ما في قصيدة ربما تكون واحدة من آخر قصائده حيث ذكرت بعض المصادر أنه مات في السنة الثانية من الهجرة ، على أن أمية قد عاصر بشائر الإسلام وأنواره الأولى ، ولكنه مات على الكفر مع أنه قد مدح الرسول ﷺ بوحدة من أفضل مدائحه .

ارتبط أمية ببنيته (الطائف) التي ولد ومات فيها ، ووصف (وجهاً وابن) وتغنى بأجداد ثقيف ، تلك القبيلة التي كان يحظها من الشعراء في الجاهلية ؛ قليلاً ، ثم لم يلبث هذا الحظ أن انخرج في الإسلام ... ولذلك كان اسم أمية مضيقاً لامماً ؛ لأنه شاعر ثقيف تلك القبيلة المشهورة وصاحبة الأجداد الكبيرة .

كان أمية يطمح في شرف ليس له وهو النبوة ، فتطلع إليها ، وأعد نفسه بالثقيف والتحنف وقراءة غير العربية على ما يظهر ، فأورد في شعره كثيراً من الكلمات الغريبة والمعاني العجيبة ، ويدعو أنه أطلع على كتب الأديان الأخرى .

وقد تحدث عنه جواد علي فقال : « وكان بعض العلماء يقول : لولا

التي لادعت ثقيف أن أمية هي ؛ لأنه قد دارس النصارى ، وقرأ معهم ودارس اليهود وكل الكتب قرأ . ولم يسلم ورثى قتل بدر (١) .

كما ظفر أمية بهبة لم تمنح إلا للقليل ، حيث كان أبوه ( أبو الصلت الثقفي ) شاعراً ، وقد ضنت كتب الأدب والتاريخ بالحديث عن علاقة أمية بأبيه ، فلم تسعنا المصادر التي أطعنا دلها بيان مدى العلاقة بينهما ، وإن كانت النماذج الشعرية التي بين أيدينا تكشف عن مدى الاختلاف الفكري بين كل منهما ، وسوف يأتي من شعرهما ما يؤكد ذلك .

ذكر أبو الفرج أن لامية أربعة أبناء ، هم ( عمرو ، وريعة ، ووهب ، والقاسم ) وقد امتدت يتابع الشعر من أمية إلى ابنه القاسم ، ذلك الشاعر الذي سنعرض له عند حديثنا عن شعراء الطوائف في العصر الإسلامي ، كما قيل إن ابنه ربيعة شاعر أيضاً ، فقد روت عنه نماذج شعرية قليلة (٢) .

عل أن العلاقة بين أمية وأبنائه لم تكن غائبة مبهولة كالتى كانت بينه وبين أبيه ، فقد أورد محققا الديوان قصيدة له يعاتب فيها ابناً من أبنائه وأولها :

غدوتك مولوداً وعلتك يافعاً  
تعل بما أحق عليك وتتهل  
إذا ليلة نابتك بالشكولم أبت  
لشكواك إلا ساهراً أتملل (٣)

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ١٥٦

(٢) منها ما ذكره لويس شيخو في كتابه شعراء النصارى ص ٢٣٧ من مكتبة الآداب بالجامعين

(٣) شرح ديوان أمية بن أبي الصلت تقديم وتحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب . منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ص ٥٦ ، ٥٧ مع ملاحظة أن هذه الطبعة هي التي ساعتمد عليها في هذه الدراسة

ولكن أمية أخفى اسم ابنه ، فأصبحت قصيدته موجهة إلى كل أبنائه ، بل أصبحت قصيدة الآباء إلى الأبناء .

وتذكر الروايات أن له أخوة يشدون الشعر ، وقد أثرت هذه الحياة عليه... « فترى في عالم الأدب والحسب والنسب ، وعاش عيشة فيها الكثير من الرأهية والنقي ، وكان هذا كله عاملاً من العوامل التي أذكت شاعريته الفتي ، إذا أضفنا إليها أجواء الطائف بنسبها وبساتينها الخضراء ، وبنائهما الثرة المعطاء » (١) .

#### ٢ - صاحب عقيدة متميزة :

ذكرت الكتب القديمة والحديثة أخباراً كثيرة عن أمية ، وتقاربت في حكمها على عقيدته الدينية ومذهبه في الحياة ، ورأت أنه كان مفطراً على الدين ، وإذا مال من أول أمره إلى التحنف وترك عبادة الأوثان... كما اختلفت الروايات والأخبار في بيان دوافعه إلى هذا التحنف ، واختلفت أيضاً في حكمها على موقفه من الإسلام ... ولم يكن هذا الاختلاف إلا محالة أو نتيجة لجموع ما جاء في ذواته بصرف النظر عما في شعره من سقطات أو نحل به عليه النقاد .

لقد كان أمية يرثاة الأدبوية والتكافؤ ، ويمجس الرهبان والقساوسة ، ويمجس في آداب النفس وأسرار الروحانيات (٢) ، ويبدو

(١) مقدمة الديوان ص ٧

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧

أن اشتغاله بالتجارة وارتحاله من الطائف إلى مكة والعام والين قد عرفه بعض ما كان يشاع في تلك الأوجاء عن قرب ظهور نبي يهدي الناس إلى سواء السبيل ، والتقى في رحلته إلى الشام ببعض أهل الدين فزهد في الدنيا . ولبس المسوح ، ومن هنا أخذ شاعرنا يتطلع إلى النبوة ويعد نفسه لها ، فهجر عبادة الأوثان ، وحرم على نفسه شرب الخمر ، واعتقد بوجود الله من غير أن يكون له فروض معينة في العبادة (١) واستفاد من اطلاعه على بعض الكتب القديمة : فتهذب أحسن تهذيب ، وتعرف على كثير من الأسرار التي أسهمت في زيادة طمعه في النبوة كما تحول زهده إلى نوع من التأمل في آيات الكون ، والبحث في الأديان والعقائد ، وقد انعكس كل ذلك على حياته وشعره : أما حياته فكانت قلقاً مضطربة ، وكان يمكن لها أن تهدأ وتستقر لو دخل في الإسلام ، ولكن موقف قومه ( ثقيف ) من الإسلام أمل عليه العداء للرسول والمسلمين ، (٢) .

ولما بعث الرسول ﷺ أسقط في يده ، وقال : إنما كنت أوجو أن أكوه ، فنزل فيه قول الله تعالى : «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين» (٣) . أما شعره فجاء مخالفاً بدرجة كبيرة — لمنهاج حياته ، ويبدو أن خيبة

(١) انظر تاريخ الأدب العربي القديم لعماد قزوح ص ٢١٦ ، طبع دار العلم للطباعة — بيروت

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٥

في الحياة ونظرتة إلى الوجود الإنساني قد بشما في شعره ، ولكنه لم يستطع أن يلتزم بهما في الجانب العملي أو التطبيقي . فقد « سماء الأصمى شاعر الآخرة » (١) ، وبذلك وقع أمية في برائن القلق والاضطراب بسبب التنافر الكبير بين نظريته في الحياة وتطبيقه لها ، وإذا كان رسول الله - ﷺ - إذا سمع شعره في التوحيد والإيمان والثناء على الله - يقول : « أمن لسانه وكفر قلبه » ، وروى صاحب الإصابة أنه مات مسلماً ، ونسب الرواة إليه شعراً في مدح الرسول ، ولكن ذلك لن يغير من حقيقة مذهبه في الدين والحياة ، وهو أنه كان متحنفاً ، حيث يقول :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخيفة زور (٢) .

وقد انعكس هذا التحنف على شعره ، فهو يرغب في الجنة ، ويخاف من الجحيم ، قال :

رب لا تحرمني جنة الخلد وكن رب في رءوفا رحيم (٣) .

وقال :

جهنم تلك لا تبقى بنيا وعدن لا يطالها رجيم  
إذا شئت جهنم ثم فارت وأعرض عن قوايسها الجحيم (٤)

ومن شعره الدال على جميل صنع الله ، والداعي إلى التأمل في آيات الكون قوله :

(١) تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - ج ١ ص ١١٣ ترجمة د/ عبد الحليم النجار طبع إدار المعارف .

(٢) الديوان ص ٤٧ (٣) مقدمة الديوان ص ٨ (٤) الديوان ص ٦٧

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال  
بناها وابتنى سبعا شنادا بلا عمد يرين ولا رجال  
وسواها وريتها إينور  
من الشمس المضيئة والحلال (١)

وقوله :

الحمد لله بمسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا  
رب الخنيفة لم تنفذ خرائتها مملوءة طبق الأفاق سلطانا (٢)  
ولعل هذه المعاني الروحية بما فيها من دعوة صادقة إلى التحف من  
التي جعلت الرسول يقول فيها يرويه مسلم : « كاد أمة أن يسم » . كما أن  
الأشعار السابقة تكشف لنا عن بعض آثار الخنيفة في شعره .  
ولقد حالت العصبية الجاهلية والطمع في النبوة بين أمة والإسلام ،  
فع أنه شاعر جاهل ، عايش في سنوات عمره الأخيرة بشائر الإسلام في  
مكة إلا أنه استسلم لهذه العصبية المعقولة ، ووقع ضحية لأطماعه في النبوة  
التي لم تكتب له بل ساقها الله لمن هو أهل لها .

إذن لم يكن أمة وثقياً .. وجعله البعض نصراياً ومنهم المسمودي ،  
وقيل إنه اعتنق الدين الإسلامي ومدح الرسول ﷺ في شعر يتشكك  
البعض فيه (٣) .

(١) الديوان ص ٦٦ ، ص ٦٢

(٢) الديوان ص ٧٩

(٣) راجع الديوان ص ٧٠ ، وراجع الأفاق ج ٤ ص ١٢٩ طبعه  
دار الكتب .

### ٣- مكاتبة الشعرية :

يشير شعر أمية بالعديد من الخصائص التي تفردها عن الشعر الجاهلي بعمامة ، وقد كانت هذه الخصائص متاثراً لدهشة القدماء والمستشرقين والنقاد العرب المحدثين .

ولننظر أولاً إلى شعراء الطائفة في عصر الجاهلي ، فإمام قلة قليلة ، وأشهرهم أمية ووالده ( أبو الصلت بن ربيعة ) وغيلان بن سلة وكثانة بن عبد ياليل وذو الأصبع العدواني وهو ليس تقنياً كالشعراء السابقين ، ويضاف إلى هؤلاء بعض الشعراء المغمورين الذين لا يمثلون علامات بارزة في رحلة الشعر بالطائفة قبل الإسلام ، وقد قال الدكتور خفاجي : « أما بيئة الطائفة الأدبية فإنها على أي حال لم تصل نهضة الشعر فيها إلى ما وصلت إليه في نجد ، كان فيها شعراء وليس شعراء بالكثير ، والسبب في ذلك كما يرى ابن سلام هو قلة الحروب والخصومات بين أهل الطائفة . وأنه إنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، وهذا هو السبب أيضاً في قلة شعر قریش وأهل عمان ، ولم ينبع في الطائفة سوى أبي الصلت ، وابنه أمية وهو أشعرهم وغيلان بن سلة ، وكثانة بن عبد ياليل » (١) .

ظفر شعر أمية بحظ وأقر من استشهادات الجاحظ في كتاب ( الحيوان ) بصفة خاصة ، ولعله وجد في ديوان أمية ما لم يجد عند أي شاعر جاهلي آخر ، فقد ذكر له شعراً عن الأرض والنساء ، وعن صور الملائكة وحلة العرش والشياطين ، وعند نطق الطير وسقينة نوح

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ( بحث الدكتور خفاجي عن أمية بن أبي الصلت .

والديك والغراب والحمامة ، وعن إخراج الحيات من بيوتها وغيرها .  
كما انتقل صاحب الجهرة من زوايا النسيان - على حد قول بلاشير -  
قصيدة لامية ذات طابع تقليدى ، وجعلها فى الطبقة الثانية من اختياراته  
ومطلبها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزبيب إذ تحمل بها قطينا  
أذعن بها جوافل معصقات كما تذى الممللة الطجونا  
وسافرت الرياح بن عصراً بأذيال يرحن ويتندنا (١)

وقد اتفقت هذه النونية مع معلقة عمرو بن كلثوم فى الفخر القبلى  
والوزن والروى وأكثر المعانى وسهولة الألفاظ ، وإن لم يتحقق من  
الشهرة لجمهرة أمية ما تحقق لمعلقة عمرو بن كلثوم .

ونقل لويس شيخو مجموعة من أقوال القدماء عن أمية ، ونذكر منها  
ما يأتى :

قال ابن قتيبة : « وعلناؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة » ،  
ويقصد بهذه العلة أن فى شعره ألفاظاً مجهولة لا تعرفها العرب ، كان  
يأخذها من الكتب القديمة . وقال أبو عبيدة : « اتفقت العرب على أن  
أشعر أهل المدن أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأن أشعر  
ثقيف أمية بن أبى العسل » وقال الكميت : « أمية أشعر الناس » ، قال كما  
قلنا ، ولم نقل كما قال ، وقال الجعاج : « ذهب قوم يعرفون شعر أمية ،  
فوكذلك اندراس الكلام » .

وقال عنه لويس شيخو : « وهو شاعر مشهور من شعراء الطبقة

(١) جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ص ٥٧ . تحقيق على  
البجاوى : طبع دار نهضة مصر .



الثانية ، وقيل من الطبقة الأولى ، وكان من رؤساء تقيف وفصائحهم المشهورين ، قرأ الكتب القديمة ، وتهدب أحسن تهذيب (١) .

وتحدث عنه خير الدين الزركلي فقال : ... شعره في الطبقة الأولى ، وعلماء القصة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب (٢) . ونعجب من هذه الأقوال المتعاقبة التي تقول بأن شعره في الطبقة الأولى أو الثانية ، ثم تذكر أن علماء اللغة لا يحتجون به ١ ويبدو أن جعل الشعر في طبقات كان وضعاً أو نظاماً هشاً ضعيفاً ، لم يلبث أن تهاوى على مر السنين . وحتى إذا اقتننا بكلامهم في جعل هذا الشعر في واحدة من الطبقتين المذكورتين فإن ما بين دفتي الديوان لا يؤيد هذا الرأي ، فإن أكثره قلق الملفظ سخييف النسيج نابي القافية ، إلا أن يكون الزمان قد عفى على أجوده (٣) .

وتحدث عنه - ريجيس بلاشير - فقال : « وقد انتهى وجه هذا الشاعر ، الذي شوهته النزعات المذكورة إلى التحول بتأثير المد الأسطوري الذي تعاقب عليه ، لمعرفة لغة الحيوان ، ومخادته الكائنات الخيالية ، وقدرته على التنبؤ ، وإذا ما جردت تلك الأخبار الأسطورية عما تراكم عليها ، فإن المعطيات الصحيحة عن أمية تبقى هزيلة (٤) » .

إن المراجعة الدقيقة والثأنية لديوان أمية - بعد الاستعداد بمجموع

(١) كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية ج ٢ ص ٢١٩

(٢) الأعلام ج ٢ ص ٢٣٠ طبعة دار العلم للملايين - بيروت - ط ٦

عام ١٩٨٤

(٣) تاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات ص ٧٦ ، ٧٧ الطبعة الخامسة والعشرون .

(٤) تاريخ الأدب العربي - بلاشير ص ٢٣٦ ترجمة إبراهيم النكيلي - دار الفكر بدمشق - الطبعة الثانية ١٩٤٤ هـ (١٩٨٤ م) .

ما تسفر عنه الأقوال السابقة - نجعلنا نقول بكل ثقة إن شاعرنا في الطليعة من شعراء الطوائف (الثقفيين)، وإن شعره متعدد الفنون والمسابر والموضوعات، وإن أم سمة لهذا الشعر اشتباهه على معالجة الأمور الغيبية، ودعوته إلى الإصلاح الاجتماعي، وبذو العادات السيئة، ومعالجته لطبائع الكائنات الأخرى سوى الأناسي، وإن ألفاظه وأساليبه لا ترقى - في مجموعها - إلى مستوى الأفكار والمعاني التي جاءت فيه، وإن أم العيوب التي خدش بها أمة حياء اللغة خروجه على نظام العرب في صوغها وتأليفها حيث ضمن شعره العديد من الكلمات التي لم يتداولها الشعراء، ولم تجر على ألسنة الأدباء.

وقد تميز أمة بالمحاولات التجديدية في معاني الشعر، والتي برزت في الساحة النقدية فيما بعد العصر الجاهلي... ولذا بقي أمة أشعر ثقيف وأشعر الشعراء في منطقة الطوائف بعامة.

#### ٤ - خصائص شعره :

تميز شعر أمة بمجموعة من الخصائص تعرض لها فيما يأتي :

أولاً : لقد تعددت الموضوعات، وكثرت الفنون التي عرض لها، وإذا كان القسم الأكبر من شعره قد دار في فلك القضايا الدينية والفلسفية التي انشغل بها، فإن له شعراً كثيراً جعله للحديث عن الموضوعات الأخرى التي لمج بها بعض الشعراء، كما تحدث عن موضوعات لم يتطرق إليها الكثيرون، وبخاصة ما مثل لها الجاحظ في كتابه (الحيوان).

ولقد اختار محققا الديوان الموضوعات التالية، وجعلها أغراضاً لشعر أمة، وهي : التأله والوصف والحكمة والمدح والثناء والفخر والنسيب، إلا أن تناول أمة لهذه الموضوعات وعرضه لها يختلف عن غيره (٣ - شعراء).

من الشعراء مما يجعل لفته نكبة خاصة ؛ ولذلك سوف نعرض لأغراضه الشعرية فيما بعد ؛ لنكشف عن الأبعاد الحقيقية للملاح شعره .

ثانياً : تتباين الألفاظ في ديوان أمية بين موضوع وآخر ، فنجد أن أكثر الألفاظ في شعره الديني لا تصاغ على وتيرة واحدة بسبب كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية ، ولذلك أسقطوا الاحتجاج به ، وأنكروا على شاعر تعقيد حق التعريف لشدة غالطته للأعاجم ، وإن كان عربياً صريحاً ، فقد كان يسمى السماء ( صاقورة ) و ( حاقورة ) ، ويرغم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ، ويسميه ( الساهور ) ، وكان يسمى الله — في شعره الديني أيضاً — ( السلطيط ) و ( التنزور ) ونحو ذلك ، وربما اقتبسها من الحبشية ، أو صاغها على أوزان تلك اللغة .

وقد قال ابن قتيبة : « وكان يحكى في شعره قصص الأنبياء ، ويأتى بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، ويأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب منها قوله :

بآية قام ينطق كل شيء  
وعارف أمانة الديك الغراب

وكانوا يقولون : إن الديك كان تدبجاً للغراب ، فرهته على الحمر ، وغدر به ، ولم يرجع وتركه عند الحمار ، لجعله ( الحمار ) سارساً . . .

ومنها قوله : قر وساهور يسل ويقعد .

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف . . . ويسمى السماء في شعره صاقورة وحاقورة وبرقع .

ويقول في الله عز وجل :

هو السلطيط فوق الأرض مقتدر

... وهذه أشياء منكورة ، وعلاؤها لا يرون شعره حجة في اللغة (١) .

أما شعره غير الديني مثل المدح والفخر والوصف وغيرها ؛ فإن ألفاظه تتنازع بالركة والسهولة والخفة حسب طرائق شعراء القرى — على قلة الشعر فيهم — .

قال يمدح عبد الله بن جعدان :

أذكر حاجتي أم قد كضاني

حياؤك إن شيمتك الحياء

وعليك بالأمور وأنت قرم لك الحسب المذهب والثناء

كريم لا يغيره صباح عن الخلق السني ولا مساء

فأرضك كل مكربة بناها بنو تيم ، وأنت لها سماء (٢)

وقد اختلفت الآراء في الحكم على القاموس اللفظي لشعر أمية ، فنحكم على ألفاظه بالتفاهة والخروج على مقاييس العرب نظر إلى ما جاء في ديوانه من أشعار دينية اشتملت على ألفاظ (مولدة) ومن حكم على ألفاظه الشعرية بالخفة والعذوبة نظر إلى ما جاء منها في لموضوعات الأخرى ، وهكذا تتنازع وتتناقض ألفاظه بين موضوع وآخر .

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٤٦٧ ، ص ٤٦٨ تحقيق أحمد شاكر الطيمية الثالثة ١٩٧٧ م .  
(٢) الديوان ص ١٩

ثالثاً : اشتهر أمية بالمعاني الدينية التي اصطبغ بها شعره ، حيث وصف الله عزوجل ، وتحدث عن بعض القيبيات مثل الجنة والنار واللائمكة والحشر والحساب وذكر خلق السموات والأرض ، ونظم حكايات التوراة ، وأدخل في شعره كثيراً من المعاني التي لم يألها الشعراء ، ولم يعرفها العرب ، وكان مذهبه غير معهود في عصره ، كما ذكر كثيراً من المعاني والقصص الخيالية والأساطير الخرافية ، وبسط في هذا الشعر الديني كثيراً من أحوال الآخرة وصفات الخالق . والخشوع له ، وأورد في ديوانه ومن خلال هذا الشعر (الديني) كثيراً من الحكم والأمثال ، والتي تدل على خبرة أمية في الحياة ، وكثرة معارفه وتجاريته .

أما في شعره غير الديني فهو يسير فيه كما يقول الدكتور خفاجي : « على نهج الشعراء الجاهليين من صدق المعنى وبساطته وسذاجته مع تلون الثقافة فيه إلى حد ما ، لثقافة أمية الواسعة ، ومع البعد عن الخيال الكاذب ، والمبالغة المفرطة فيه » (١) .

وتتميز غمانيه بالعمق والتنوع ، وتتلاءم مع محصوله الثقافي المشبع بالحكمة والفلسفة ، وسوف يكشف الحديث عن أغراضه الشعرية الأبعاد الحقيقية للتنوع في المعاني الذي تتميز به هذا الشاعر ، ولننظر إلى أهم الأفكار التي طرقها ، وتحدث عنها قال :  
 والارض توشحها الإله طرقة  
 والارض معقلنا وكانت أمنا  
 وفيها مقابرنا وفيها نولد (٢)

(١) أشعار الشعراء البسة من ٢٠٤٤ : ٢٠٤٥ ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٤ تحقيق غيد السلام ،  
 (٢) الحيوان للمحافظ ج ٣ ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٤ تحقيق غيد السلام ،  
 هارون الطبعة الثانية (العاوي) .

وتحدث عن نطق الطير فقال :  
فاسمع لسان الله كيف شكوه

عجب وينيك الذي تستشهد  
والوحش والأصنام كيف لفاتها

والعلم يقم بينهم ويعدد (١)

كما أن الكثير من شعره يكشف عن ثقافته الواسعة التي وظفها في  
خدمة معانيه وأفكاره ، فصاغها صيغة متنوعة في مجموع شعره .

رأياً : تعرض شعر أمية لموجات من النقد المتصل بقضية الاتعالي ،  
وسبق أن بينا رفض الكثيرين من القدماء للاستشهاد به ، لما فيه من  
الفاظ لم يألفها العرب ، وقد اتضحت هوية هذا الشعر بعد أن جمع بين  
دفتي ديوان مطبوع .

وتحدث محققا الديوان في إحدى طبعاته فقالا : وهذه قضية تفاجئنا  
حين نطالع شعر أمية . فإن قصائده ليست كلها على وتيرة واحدة فمنها  
ما هو جزل متين رصين ، ومنها ما هو مهمل متهافت ، والسبب في ذلك  
يعود إلى أن هذه القصائد المتهافة منحولة على أمية وليس بقائلها ، (٢) .

وبقي المحققان رويتهما على ما في الديوان من قرائن وبراهين كاشتاله  
على المعاني القرآنية مثل حديث ذي القرنين وأصحاب الكهف والرقم  
وقصة نوح ، فضلاً عما في بعض قصائده من تهليل وتفكك ، وألفاظ  
تجمل قائلها عن عاش بعد القرن الخامس ، ومثلاً للنحول الذي اشتمل

(١) المرجع السابق ج ٧ ص ٥٥  
(٢) الديوان ص ١١٠١٠

على كلمات القرآن وبعض تراكيبه بقول أمية :

فقال أعني بأبن أمي فإني  
كثير به يارب صل لي جناحيا  
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا  
للى الله فرعون الذى كان طاغيا(١)

وذكرنا أن في ذلك إشارة إلى قوله تعالى : ( واجعل لى وزيراً من  
أهل هارون أخى ، أشد به أذى وأشركة فى أمرى ) (٢) وقوله تعالى  
( اذهباً إلى فرعون إنه طغى ) (٣) ، ولكنهما لم ينسفا شعره الدينى كله ،  
وحيث أنه قد بقى له شعر فى هجاء المسلمين والتعريف بهم ، فن باب أولى  
أن يكون له شعر دينى فى غير ذلك .

وعرض أحمد حسن الزيات لموقف شعر أمية من النحل والوضع ،  
فقال : « ومذهب أبى الصلت فى شعره لم يهد فى عصره ، فتحله العلماء  
ما جاء على شاكلته ، ولم يعرفوا قائله » (٤) .

وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن شعر أمية ، وأكد على تسرب  
النحل إليه ، وذكر أنه يدور حول موضوعين أساسيين : حيث يتحدث  
فى أولها عن خلق السموات والأرض ونشأة الكون ، للاستدلال على  
وجود الله ، وعن الموت والفناء والبعث والنشور والعذاب والثواب على  
شاكله قوله :

(١) الديوان ص ١١

(٢) سورة طه ( الآيات ٢٩ - ٣٢ ) .

(٣) سورة طه ( الآية ٤٣ ) .

(٤) تاريخ الأدب العربى ص ٧٦

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال  
بناها وابنتى سبعا شدادا بلا عتد يرين ولا رجال  
وسواها وزينها بنسور من الشمس المضئية والهلل (١)

وذكر أنه يظن أن هذه الأشعار وما يماثلها مما نحل على أمية ... يتنا  
يورد في الموضوع الثاني قصص الأنبياء بحيث لا تفرق في ذي. عما جاء  
في القرآن الكريم، وبعد أن مثل له تحدث عنه فقال: « وواضح أن هذا  
شعر ركيك ساقط الأسلوب نظم به بعض القصص والوعاظ في عصور  
متأخرة عن الجاهلية.

وقد ذهب (هيار) يزعم حين اطلع على شعر أمية أنه اكتشف فيه  
مصدراً من مصادر القرآن الكريم، ولو كان له علم بالعربية وأساليب  
الجاهليين لعرف أنه وقع على أشعار متحلة بينة الانتحال، ولما تورط  
في هذا الخطأ البين، وقد رد عليه غير واحد من المستشرقين ... (٢).

ولقد أورد الدكتور شوقي ضيف في بداية حديثه عن أمية شعراً له  
يمتدح فيه عبد الله بن جدعان، ويرثي — في نموذج آخر — قتل المشركين  
في غزوة بدر.

ولكنه لم يحدد رأيه في الحكم على هذا الشعر بالصحة أو النحل،  
ويبدو أنه ارتضى لامية بعض الأشعار من أمثال هذه النماذج، والتي  
يقول في إحداها مادحاً ابن جدعان:

عطاؤك زين لامرئ قد حبوته بخير، وما كل إعطاء يرين

(١) تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي — ص ٣٩٥ — دار  
المعارف بمصر الطبعة التاسعة ١٩٨١ م  
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٦



وليس يشين لامرئ. بذل وجهه  
إليك كما بعض السؤال يشين (١)  
أما ما عداها فقد حكم عليه بالنحل كما سبق القول.

ويرى (بروكلان) أن أكثر شعر أمية بن الصلت منحول إلا مرثية  
قتلى بدر، والتي منع النبي ﷺ من إنشادها (٢) ورفض رأى (هيار)  
Huart في أن شعره كان من مصادر القرآن الكريم مصداقاً لمقولة شوقي  
ضيف السابقة؟ ذلك لأن الأشعار التي نظر إليها هيار قد نخلت لأمية  
في عهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول للهجرة... لأن الأصمعي سماه شاعر  
الأخيرة، كما سمي عنترة شاعر الحرب، وعمر بن أبي ربيعة شاعر  
العشق، (٣).

ويرى (بلاشير) أن القطع المتناثرة التي مدح بها أمية ابن جعدان،  
والقصيدة المتناثرة التي رثى بها أمية قتلى بدر وغيرهما قريبة جداً من  
الطابع البدوي لشعراء الحجاز، أي أنها يمكن أن تكون تعبيراً عن قدرات  
أمية، ويرى أن طائفة أخرى من القصائد والمقطوعات ذات أسلوب تافه  
أخرق بحشوة بالغريب، ومن الممكن أن ينسرب إليها الوضع أو الالتحال  
ويعبر عن مجموع رأيه الذي تابع فيه بعض المستشرقين فيقول: «وفي  
الواقع فإن المستشرق (تور آند) كان على صواب حين اعتقد أن الآيات  
الدينية التي وضعت باسم أمية برأبي الصلت تضخم غير موفقة لأقوال القصاص  
الذين انطلقوا من عناصر قرآنية، فليس—والحال هذه—في مقدور تلك

(١) المرجع السابق ص ٣٩٤

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلان ج ١ ص ١١٣

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١١٣

المقطوعات أن تستحضر، سواء بالآفكار أو بالأسلوب — وحتى من بعيد — شعراً دينياً ظل وجوده بالنسبة إلينا لغزاً — من الألغاز، وفي مقابل ذلك، فإن القطع ذات الطابع البدوي لقريبة جداً من شعر شعراء الحجاز في الجليل ذاته، (١).

وبعد أن استعرضنا هذه الآراء المدعمة بالنقول الموقدة لما، وبعد أن عايننا أكثر القصائد والمقطوعات التي يضمها الديوان نستطيع أن نتجاوز الظن إلى اليقين مؤكدين على أن الأشعار الدينية التي نسبت لامية قد دخلها نحل كثير، وبأن عليها الوضع بصورة واضحة، ولكن تبقى الإشكالية قائمة: فليس كل هذا الشعر منحولاً على الرجل، إذ لا بد أن تكون له أصول رجع إليها النحاصر والوعاظ عند وضعهم لما وضعوا في نهاية القرن الأول الهجري أو بعده، وليس من اليسير علينا فصل الصحيح من الزائف، إذ لم يكن الواضعون قليلي الخبرة بالدرجة التي ينكشف معها صنيعهم، ولكنهم نسجوا على منول أمية. واختلط الصحيح بالزائف: وصار الاستشهاد بهذا الشعر الديني أمراً غير مأمون الجانب ويحتاج لمزيد من التبصر والحيلة. على أن بعض هذه الأشعار وبخاصة ما ذكرها القدماء، واستشهد بها الجاحظ وغيره تعبر عن المشاعر الفكرية والفلسفية التي اعتنقها أمية، وتكشف مضامينها عن معالم شخصيته وقد ذكرنا منها في الصفحات السابقة ما يبرز المعالم والاتجاهات الملائمة لهذا الشاعر.

أما الأشعار الأخرى، والتي لم يمرض فيها للقضايا الدينية المختلفة فهي أشعار يسرى عليها ما يسرى على الشعر الجاهلي بعامته مثل بعض القصائد

---

(١) تاريخ الأدب العربي — بلاشير ص ٣٣٨، ص ٣٣٩

التي مدح بها ابن جدعان ، ومثل القصيدة التي رثى فيها قتل المشركين في بدر .

فإذا توافقت الأفكار والألفاظ في هذه الأشعار مع منهاج أمية فيمكن لنا أن نقبلها ، ونحكم على الشاعر من خلالها .

ومن الجائز أن يتسرب إليها الوضع أيضاً . ولكن النظرة المتأمية لهذا القسم تجعلنا نقبل عن قناعة أكثر ما قاله فيه ، مع أخذ الحيطة حول كل ما ورد في الديوان .

#### ٥ - أغراض شعره :

إن المتتبع لشعر أمية يجد فيه الأغراض أو الفنون الآتية :

أولاً : الشعر الديني :

ويراد به القصائد والمقطوعات أو الأبيات التي نظمها في النواحي الدينية ، ويشكل هذا اللون أكثر من نصف الديوان حيث حكي فيه قصص الأنبياء كما جاء في التوراة (١) .

كما تحدث عن توحيد الله ، وذكر يوم العشر ، والموت والفناء والملائكة وخلة العرش والشياطين إلى غير ذلك من الأشعار التي غلب عليها طابع الدين والتخفيف .

يقول الزيات : « انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية ، فاشتهر بها أمره ، واصطبغ بها شعره فوصف الله وجلاله ، وذكر العشر وأهواله ، ونعت الجنة والنار والملائكة ونظم حوادث التوراة كنزاع سدوم

---

(١) انظر الديوان ص ٢٠

وقصة إسحاق وإبراهيم، (١).

ويلاحظ أن هذه المعاني وغيرها تميز - في معظمها - عن الحنيفية التي كانت سائدة قبل الإسلام، وكان أمية واحداً من اعتنقوها ودعوا إليها، بل إن هذه الدعوى قد اكتسبت أبعاداً جديدة من خلال شعره؛ إذ كان يسعى في سبيلها إلى نيل شرف النبوة، فأخذ يتقف نفسه، ويوظف شعرة في التبشير بزيادته الدينية. وكانت هذه الأشعار مستقاة - في معظمها - من التوراة، ومن بعض الأساطير التي انتشرت في الحياة الجاهلية، ولذا لم يجد المتأخرون صعوبة منذ القرن الثالث (الهجري) في أن ينظموا على هذه الأشعار، وأن يضيفوا إلى القليل الذي قاله أمية كثيراً من عند أنفسهم، ولذلك اختلط الصحيح بالزائف في هذا الشعر، وصرفنا قراء شعراً دينياً لأمية (الجاهلي) فنجد فيه تأثيراً كبيراً بالقرآن الكريم فضلاً عن سهولة الألفاظ التي لا تتناسب مع أشعار الجاهليين على شاكاة قوله:

إذا قيل من رب هذه السما فليس سواه له يضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا

لقال العباد جميعاً كذب (٢)

وقوله:

يوقت الناس للحساب جميعاً فشق معذب وسعيد (٣)

وقوله:

ولا يوم الحساب، وكان يوماً عبوساً في الشدائد قطريراً (٤)

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٧٦

(٢) الديوان ص ٢٠ (٣) الديوان ص ٣٣

(٤) الديوان ص ٤٦

وقوله:

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور  
ولكن أعبد الرحمن ربى  
ليغفر ذنبى الرب النفوس (١)

وقوله:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظالم (٢)

ولعل القارىء يلحظ معنى ملاح الوضع والاتحال على أكثر هذه النماذج التي ذكرتها، حيث تتضح فيها خفصة الوزن وسهولة اللفظ، بالإضافة إلى ملاءمة معانيها للحياة الإسلامية في العصر العباسي، ولكن لا بد أن يكون أمية قد قال قدراً كبيراً من الأشعار ذات المعاني الدينية والتي تعبر عن مذهب التحنف الذي سلكه في حياته، ولكن إشكالية النحل ستبقى فاردة أجنحتها في سماء الشعر الديني بكامله، إذ لم نقدر على فصل الصحيح من الزائف، وكل الاحتمالات مبنية على الرؤية الفردية والحدس النقدي.

ويستطيع القارىء أن يفرض صفحات الديوان ليجد شمره (المنحول وغيره) مبرراً عن كثير من الدعوات التي احتفل لها أمية في حياته، ولكن ما بين دفتي الديوان يؤكد على نوع من التدخل الخارجي، فقد فرض ستار حول الأشعار التي عارض أمية بها الإسلام باستثناء قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين كما رأينا قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ، مع أن علاقته بالإسلام لم تكن حميدة إلى الدرجة التي يقول فيها مثل هذه القصيدة، ولذلك نجد أن هذا الشعر الديني موزع في أهليته بين أمية

(١) الديوان ص ٤٦

(٢) الديوان ص ٧٧

وبعض الشعراء (المولدين) في العصر العباسي تقريباً . ويقول الدكتور خفاجي : « ويظهر في شعر أمية الدين : الضعف الفني ، لصعوبة الكلام في أمور الدين ، ولأنه كان يعارض القرآن في بعض ما فيه ، فجبر وضعف وخي (١) » .

#### ثانياً - المدح :

يأتي هذا الغرض في المرتبة الثانية من حيث أهميته في شعر أمية وقد قال فيه الكثير الذي اتجه به إلى سيف بن ذي يزن وغيرهما . وله قصيدة في مدح الرسول ﷺ ثارت حولها الشكوك فقليل لأنها متحولة .

ولم يقف شاعرنا على أعقاب الملوك ، كما لم تجده يتخصص في مدح قبيلة معينة ويبدو أنه سخر فنه للتكسب به من مدح ابن جدعان الذي كان واحداً من الأثرياء في مكة المكرمة .

ولقد تحدث أكثر الذين كتبوا عن شعر أمية عن الحمزية التي امتدح بها ابن جدعان ، وهي :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء  
وعليك بالأمور وأنت قرم لك الجسب المهذب والثناء  
كريم لا يغيره صباح عن الخلق السقي ولا مساء  
فأرضك كل مكربة بناها  
بنو تيم وأنت لها سماء  
إذ أثنى عليك المرق يوماً كفاه من تمره الثناء

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ص ٢٥٨



ليطلب النار أمثال ابن ذى يزن  
في البحر غيم للأعداء أحوالا .  
أتى هرقل وقد شاك نعمته  
فلم يجد عنده بعض الذي سالا (١)

أما القصيدة التي قيل إنه مدح بها الرسول ﷺ ، فأولها :

لك الحمد والمن رب العباد أمت المليك وأمت الحكم  
ودن دين ربك حتى اليقين واجتنب الهوى والضج  
محداً أرسله بالهدى فعاش غنياً ولم يهضم  
عطاء من الله أعطيته وخص به الله أهل الحرم  
وقد علموا أنه خيرهم وفي بيته ذى الندى والكرم (٢)

والملاحظ أن موهبة أمية في المدح لا ترقى إلى مرتبة الشعراء الكبار  
أمثال زهير والناطقة وغيرهما ، وإن تميز بأنه شاعر قروى عفا لسان  
لا يميل إلى المبالغة ، ولا يسرف في الثناء ، ولعله كان يتجه إلى مدوحيه  
وفي ذهنه المبادئ الخفيفة التي (تذهب) بها طوال حياته .

#### ثالثاً : الوصف :

وهو فن واسع من فنون الشعر العربي ، وقد وظفه أمية لرصد حركة  
الحياة ومتابعة تطورها من حوله ، وامتد هذا الغرض إلى سائر الفنون  
الأخرى ، وإن كان دوره موجهاً إلى وصف الطبيعة بقسميها الصامتة  
والمتحركة كقوله عن الليل والنهار :

(١) الديوان ص ٦٥ ، ٦٦ وراجع الأغاني ج ١٧ ص ٣١٢

(٢) الديوان ص ٧٠ ، ٧٢



الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق  
والخيط الأسود لون الليل مكموم (١)

وقوله في وصف الفرس :  
كيت بهم الليل ليس بفارض  
ولا يخيف ذات لون مرقم (٢)

وقد تجلت قدرته في متابعة المظاهر الطبيعية كوصف المطر ودواب  
الأرض، وطبقات الجو، ومناحي الفضاء الواسع، وامتدت موهبته إلى  
وصف النواحي المعنوية التي تمتد ببعض الأسباب إلى شعره الديق.

ويلاحظ أنه كان مقلاً في وصف الفرس، ولم يوظف فيه في خدمة  
الناقة أو غيرها من وسائل الانتقال في الجاهلية، مع أنه كان تاجراً  
مرتحلاً من الحجاز إلى الشام والعين، كما لم يكن شاعر حرب يصف وقائمه  
وأثارها، وقد يكون ذلك بسبب أنه نشأ في الطائف، وهي قرية (أو  
مدينة) عربية لم تعرف المعارك القبلية الطويلة، ثم إنه كان شاعر حب  
وسلام فلم يتلوث بيانه بتفجير نار الكراهية في البيئة التي التصق به  
وعاش فيها.

رابعاً : الفخر :

برز أمية في هذا الغرض لمكاته في قومه من جهة أبيه وأمه، وقد جاء  
أكثر غرضه مختلطاً بغيره من الغنون كالمدح والثناء باستثناء بعض القصائد  
والمقولات، ونختص منها قصيدته (المجمهرة) ، وهي من أجمل  
شعره في الفخر، ويعمد هذا الغرض من أبرز الأغراض الجاهلية  
لاتقائه مع طبيعة الحياة فيها، ومع ذلك فإن شعر أمية فيه قليل بالنسبة  
لغيره من الجاهليين الذين صالوا فيه وجالوا، وربما يرجع هذا الإقلال

(٢) الديوان ص ٧٦

(١) الديوان ص ٧٧

إلى النزعة الدينية التي ملكت عليه حياته ، أما قصائده في الفخر فلربما تألما قبل أن يتوغل في الحنييفة التي امتلكت كيانه ووجدانه ، وصارت عقيدته التي أقربها ودعا إليها : قال :

أنا الذائد الحامي الدمار وإنما

يدافع عن أحبابهم أنا أو مثلي (١).

وقال :

قوى إباد لو أنهم أمم ولو أقاموا فتجول النعم  
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جيماً والقط والقط (٢)

ويتنوع الفخر في شعر أمية بين القصيدة والمقطوعة والبيت الواحد حيث يفتخر فيها بنفسه ومكانته في بيئته ، أو يفتخر بقومه (مقيف) ومجذوره التي تعزب في أعماق التاريخ ، وتمد (المجمرة) أفضل قصائده في الفخر ، وقد اختارها أبو زيد القرشي ؛ لتكون واحدة من (المجمرات) التي وضعها في الطبقة الثامنة بعد (السموط) وهي قصائد الطبقة الأولى ، وأول قصيدة أمية قوله :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزوب إذ تحل بها قطينا  
وأذرت حوافل مصفات كما تدرى الململة الطعينا  
وسافرت الرياح بين عصراً بأذيال يرحن ويتندينا  
فابقين الطلول غيبات ثلاثاً كالحاتم قد بليتينا (٣)

ولعلها تقترب في مضمونها مع قصيدة عمرو بن كلثوم فضلاً عن اتفاقها في الوزن والروي ، ويتأكد ذلك من خلال متابعتنا لأبيات الفخر في قصيدة أمية التي يقول فيها :

(١) الديوان ص ٦١

(٢) الديوان ص ٧٧

(٣) الديوان ص ٨٤

(٤) شعراء

ورثنا المجد عن كبرا نزار فأورثنا مآثرنا البينا  
وكنا حيثما طلت معد أقنا حيث يساروا هاربينا  
تنوح وقد تولت مدبرات نخال سواد أيكثها عربنا  
بل يزداد التقارب بين المعاني والألفاظ في القصيدتين للدرجة التي  
يقول أمية :

وأنا الشاربون للساء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
وهو يتدفق (جداً) من بيت عمرو بن كلثوم الذي قال فيه :  
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا  
وإن كان لا ينبغي على أحد طول نفس ابن كلثوم حيث جاءت معلته في  
مائة وواحد وعشرين بيتاً (١) بينما جاءت بجمهرة أمية في ثلاثين بيتاً (٢) فهذه  
السعة في قصيدة عمرو نتيج له أن يمتد غفره إلى نواح كثيرة لم تشملها أو  
تتطرق إليها قصيدة أمية .

#### خامساً : الحكمة :

ليست الحكمة غرضاً مستقلاً بذاته ، بمعنى أنه لا توجد قصائد خاصة  
بهذا اللون الشعري ، ولكننا عرفنا شعر الحكمة موزعاً بين الأبيات ، كما  
يأتي في مطالع القصائد أو في أواخرها ، وقد تيسرت الإمكانات الفكرية  
للابن أبي الصلت لأن يكون واحداً من الحكماء الجاهليين بفضل معارفه  
الكثيرة ، وإطلاعه على الكتب القديمة ومراجعته لثقافات الأمم الأخرى ،  
فتباً لإدراكه لقول هذا الشعر ، والإفضاء به من خلال كل الأغراض

- (١) كما جاءت في جمهرة أشعار العرب للقرشي من ص ٢٧٢ إلى ٣٠٠  
(٢) كما جاءت في الجمهرة أيضاً من ص ٤٠٧ إلى ٤١٢

الشعرية ، أو من خلال بعض المقطوعات الصغيرة خصيصاً لصير الحكمة ،  
قال :

إن الغلام مطيع من يؤدبه ولا يطيعك ذو شيب بتأديب (١)  
وقال :

وقد يقتل الجهل السؤال ويشقى إذ عاين الأمر المهم المعان  
وفي البحث قدما والسؤال لدى العمى  
شفاء وأشقى منهما ما تعان (٢)

سادساً : الرثاء : يعد هذا الغرض من أكثر الفنون التي برز فيها أمية  
خاصة أنه الغرض الذي يخلو من الزيف ، ويتجه الحديث فيه إلى الماضي؛  
لامتداح الأموات . وكانت هزيمة المشركين في بدر وقتل العديد من رجالها  
مجالاً كبيراً أمام أمية لكي يبكي عليهم مادام قلبه لم يمس بالإسلام ، وتعد  
قصيدته في رثاء قتلى بدر من أشهر قصائد الرثاء في الشعر العربي حتى إن  
الرسول أوصى بعدم روايتها ، وقد ذكرها ابن هشام ما خلا بيتين ،  
تعرض للشاعر فيها للسلبين ، ثم بكى أمية في رثائه لبعض الرجال مثل عتبه  
ابن ربيعة وزمعة بن الأسود ، كما اتجه إلى نفسه فرثاها قبل موتها ، ومن  
يشعر في رثاها قتلى قريش يوم بدر :

ألا بكيت على الكرام . بنى الكرام أولى الملاح  
بكى الحام على فروع الأيك في النصف الصواح  
يكنى حوى مشكينات يرحن مع الرواح  
أمنان الباقيات المعولات من النوايح (٣)

(٢) الديوان ص ١٣

(١) الديوان ص ٢٠

(٣) الديوان ص ٢٤

## المير جانيب البدرية مكرم

- ٥٢ -

وقد احتفل المستشرقون بهذه القصيدة ؛ لأنها من وجهة نظرهم به  
عن الوضع والاتصال ، وكأنهم رأوا فيها تعبيراً عن الرأي الآ  
( المعارض ) للدعوة الإسلامية ، وهي فريدة في اشتغالها على امتد  
المشركين ، كما أنها من الشعر الذي عز وجوده بعد عصر التدوين ، و  
رأى النقاد المحدثون من عرب ومستشرقين في جزالة ألفاظها ووع  
تراكيها ما ينأى بها عن التحل ، فضلاً عن رواية ابن هشام لها وتدو  
في كتابه .

سابعاً : الغزل :

تنشر في ديوان أمية بعض الأشعار التي تعبر عن أغراض أخرى  
ولكنه كان فيها مقلداً قصير النفس ، ونذكر منها :

الغزل كقوله متغزلاً يسلى :

كأن المسك تخلطه بفيها وريح قرنفل والياسمين  
ألم تر أن حظي من سليمي أمان قد يرحن ويقتدينا (١)

وقد افتتح بنزله بعض قصائده ، كما أن له قصيدة غزلية منها إلى  
السايقان ولكنه كان قصير النفس أيضاً في هذا اللون ، حيث اتجه  
إلى الشعر الديني ، وغيره من الأغراض التي أثبت فيها شاعريته ور  
من خلال قبيلته ( تقيف ) .

## الفصل الثاني

### ذو الإصبع العدواني

(شاعر الحكمة والسلام)

١ - مسيرة حياته وشعره :

ينسب ذو الإصبع إلى قبيلة (عدوان) التي تسكن بقاياها في الطائف إلى اليوم ، مع أن تاريخها حافل بالوقائع المشهورة والأجناد العظيمة ، وقد غلب لقب هذا الشاعر عليه ، فصار معروفا به ، وجعل الناس اسمه مع مروم الأيام والسنين . وذكر أبو الفرج الأصبهاني نسبة فقال : « هو حريثان بن الحارث بن محرز بن ثعلبة ... » ويمتد كما جاء في الأغاني إلى « قيس بن عيلان بن مضر بن نزار أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة » (١) .

وقد لقب بذى الإصبع : « لأن أفعى نهشت لإبهام رجله ، فقطمها ، فسمى ذا الإصبع . وقيل : لأنه كانت له إصبع زائدة » (٢) .

وليس بين أيدينا من الحقائق الثابتة ما يشهد على نشأة هذا الشاعر العدواني الذي يرتبط بكتابتنا من خلال قبيلته التي كانت تقيم في الطائف

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٩

(٢) شرح المفضليات للتبريزي - القسم الثاني ص ٥٧٣ تحقيق على الجبالي طبع دار نهضة مصر .

وضواحيها في الجاهلية ، بل إنها كانت أسبق من تقيف في الحياة بها ، وقد ظلت القبيلتان تعيشان سوياً في تلك المنطقة قروناً طويلة .

لم يذكر حرثان أو ذو الإصبع في شعره القليل وقصائده ومقطوعاته المحدودة شيئاً عن زوجته ، مع أنه تحدث عن أبنائه ، وعاطيهم مجيد الشعر والنثر فقد روى صاحب الأغاني قصته مع بناته الأربع ، عندما أردن الزواج ، ولولا طول الخبر لذكرته ، وبخاصة ما تحدث به ذو الإصبع إلى بناته بعد زواجهن ، من حكم بايعة وأقوال مرسله . ونفهم منها طيب العلاقة بين الرجل وبناته وزوجته التي كانت توصيه — فقط — بالموافقة على تزويج بناتها .

كما نقل أبو الفرج إلينا أيضاً وصية ذي الإصبع عند موته لابنه ، وهي من الوصايا التي تشهد بسمو الأخلاق عند كثير من الجاهليين . وتؤكد أن هذا الرجل من كبار الحكماء المجريين ، ومن أهل الأدب الذين ملكوا زمام الشعر والنثر . ويبدو أنه استفاد بخبرته وطول حياته في صياغة هذه الوصية التي قالها عندما احتضر حيث دعا ابنه أسيداً ، وقال له : « يا بني ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سم العيش ، ولقي موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت ، فاحفظ عني :

ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشئ . يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمع بما لك وأحم حريمك وأعوز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع للتهنة في الصريح ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فيذلك يتم سؤدوك ، ثم أنشأ يقول :

أأسيد إن مالا ملكك ت كسر به سيزاً جليلاً

آخ الكرام إن استطعت إلى إغاثهم سبيلا  
واشربت بكأسهم وإن شربوا به السم أثيلا  
أهن الناس ولا تكن لإغاثهم جملا ذلولا  
إن الكرام إذا تواخيم وجدت لهم فضولا  
ودع الذي يعد الشيب رة أن يسيل ولن يسلا  
أبني إن المال لا يبكي إذا فقد البخيل (١)

ولم تتوقف مسيرة الحكمة عند هذا البيت ، بل تواصلت حتى بلغت هذه القصيدة واحداً وعشرين بيتاً .

ولإذا ما أعدنا النظر في النص الثرى الذى ابتدأ به ذو الإصبع وصاياه وجدناه حريصاً على دعم العلاقة بين (أسيد) وسائر الناس من خلال الصفات الأخلاقية المتعددة كإين الجانب والتواضع وبسط الوجه والإينار والكرم والساحة وحماية العرض وإعزاز الجار ومساعدة المحتاج والإسراع فى النهضة وصون الوجه عن مذلة السؤال .

وبلاحظ أنه استعمل الأساليب الإنشائية التى تتلالم مع الآبوة ، ومقتضى الحال الذى آل إليه الرجل فى آخر حياته ، كما استعمل الجمل القصيرة الموجزة ، وبذلك يسهل حفظها من قبل الناشئة وصغار المتعلمين . أما النص الشعرى فلا يختلف فى هدفه عن القطعة الثرية التى استهل بها هذه الوصايا ، كما لا يختلف أيضاً من حيث الصياغة البديعة والجمل القصيرة والتعبير الإنشائى الجمل .

ويبدو أن الأدب الرفيع والأخلاق الفاضلة قد شملت أبناء شاعرنا



حيث روى أبو الفرج قطعة شعرية لإمامة بنت ذى الإصبع ترقى فيها قومها ، كما أن بناته جميعاً كن يعبرن عن رغباتهن في الزواج من خلال الشعر مما يؤكد استفادة أهل ذى الإصبع بما في جعبته من إمعان و آداب .

ولقد استمر في قول الشعر إلى آخر حياته الطويلة ، وبين أيدينا سبعة أبيات قالها لابنته (أمامة) عندما بكّت لما رأته قد نهضت فسهط وتوكت على العصا ، وهي :

جوزت أمامة أن مشيت على العصا  
وتذكرت إذ تحن م الفتيان  
فلقبل ما رام الإله بككده  
إرما وهذا الخى من عدوان  
بعد الحكومة والفضيلة والنهى  
طاف الزمان عابهم بأوان  
وتفرقوا وتقطعت أشلاقهم  
وتبددوا فرقاً بكل مكان  
جذب البلاد فأعقمت أرحامهم  
والدهر غيرهم مع الخدثان  
حتى أبادهم على أخرام  
صرعى بكل فقيرة ومكان  
لا تعجبين أمام من حدث عرا  
فالدهر غيرنا مع الأزمان (١)

ولقد امتدت حتك ذى الإصبع إلى الشعر الذى يواسى فيه ابنته (أمامة) ويصبرها على حالته ، ويعطيها الأمانة على شمول الفناء لكل السابقين ، ويوصيها بعدم التعجب ؛ لأن ما حدث له كان بسبب تأثير الدهر فيه ، ولا نجاة من هذا التغيير أو التأثير ، وهكذا تدعت أخلاقياته

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩

مع أبنائه في شبابه ، وفي آخريات حياته ، وعبر عن ذلك في العديد من المواقف .

وكان لدى الإصحاح ابن عم يناسبه العداء فهمس إليه شاعرنا بما يسهم في إطفاء نار الكراهية التي تملكته وأحاطت به في أحد عشر بيتاً رواها أبو الفرج ، ونقل مناسبة عن أبي عمرو فقال : « قال أبو عمرو وكان لدى الإصحاح ابن عم يعاديه فكان يتدسس إلى مكارهه ، ويمشي به إلى أعدائه ، ويؤلب عليه ، ويسعى بينه وبين بني عمه ، ويبغيه عندهم شراً ، فقال فيه (١) : ثم ذكر الآيات ومنها :

يا صاحبي قفا قليلاً	وتخبراً عني أياً
عن أصابت قلبه	في مرها فقد نكيساً (٢)
ولي ابن عم لا يزا	ل إلى متكره دسيا
دبت له فأحس به	د البره من سقم رسيا (٣)
لما علامة ولم	اعمر (٤) أكل (٥) وهيساً (٦)

ونلاحظ أن شعر ذي الإصحاح في هذا الموقف لم يكن في مثل نماذجه السابقة حيث جاء المطلع متكلفاً بهذا الغزل الذي لا يتلاءم مع المناسبة ، كما أن أكثر الألفاظ ثقيلة جافة .

وتمتد موجة الإصلاح التي ينشدها لتشمل قبيلته كلها ، ولم تعد

- (١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .
- (٢) النكيس : المريض (٣) الرئيس : أول الحى
- (٤) عخرأ : من أخر الشيء . إذا سقره .
- (٥) الأكل الوهميس : الشديد
- (٦) مجموع هذه الآيات - كما وردت في الأغاني - أحد عشر بيتاً .

فلسفته الاجتماعية — من خلال شعره — قاصرة على أبنائه وابن عمه ، فقد سعى بنفسه للتصالح ورأب الصدع بين بني تاج بن يشكر وبني عوف بن سعد ، وهما من عدوان ، وليكنهما لم ينصاعا حتى تقافوا وتقطعوا ، فقال ذو الإصبع :

ويايئوس للأيام والدهر هالكا  
وصرف الليالي يختلفن كذلك  
أبعد بني تاج وسعيك فيهم  
فلا تتبع عينيك ما كان هالكا  
إذا قلت معروفا لأصلح بينهم  
يقول مرير ولا أحاول ذلك  
فأضجوا كظفر المود حب سنامه  
تحوم عليه الطير أحذب باركا  
فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت  
فقد غنيت دهرأ ملوكا هنالكا (١)

وهكذا نرى شعر ذي الإصبع موجهاً إلى الحكمة والحب والسلام ، فهذه الشواهد التي ذكرناها ، والأشعار الأخرى التي لم نذكرها وتدور حول رؤية واحدة ، وتعبر عن فلسفة اجتماعية سامية بحيث لا تتناقض المواقف أو الأشعار مع بعضها ، وكما رأينا من الجاهليين من يدعو إلى السلام ويمد الحروب في موقف ثم لا يلبث أن يتجاهل ذلك من خلال دعوته للحرب وممارسة الظلم في موقف آخر .

٢ — موضوعات شعره :

إن القصائد والمقطوعات التي لا تتجاوز في مجموعها أصابع اليدين ، والتي قالها ذو الإصبع ، ونقائنا إلينا ( الأغاني ) و ( المفضليات ) وغيرهما يمكن أن تشكل بعض الأغراض الشعرية في حدود هذا القدر المنقول إلينا ، وإن كنا نلاحظ اشتغال القصيدة الواحدة على أكثر من غرض كما كان يتعمد الجاهليون في بعض أشعارهم . ويدعو أن نتاج ذي الإصبع كان في مستوى متقارب بمعنى أن فيه لا يتمثل فيه الخط البياني للتطوير مما يجعلنا نقول بحرص الشاعر على تنقيح شعره ، أو أنه لجأ إلى التخصيص مما لم يجبه أو يرضى عنه ، كما أنه من الجائز أن يكون شعره قد تعرض للتلف أو الضياع ، ولكن تلك الأمور لا تعدو أن تكون أمورا ظنية نفسرها ظاهرة وجود مجموعة من القصائد والمقطوعات لشاعر متميز ، وفي درجة متقاربة من ناحية المعاني والأفكار والصياغة اللفظية .

وإذا قمنا بترتيب الموضوعات أو الأغراض في هذا الشعر من حيث عدد الآيات فسوف يأتي ترتيبها على النحو التالي :

( أ ) الحكمة : عرفنا الحكمة في أكثر النماذج التي مثلنا بها ، وسوف نلقاها في أمثلة أخرى من مجموع هذا الشعر مما لم تذكره . ولعل أبرز نموذج للحكمة ما قاله متوجهاً به إلى ابنه ( أسيد ) حيث قدم القصيدة بقطعة من النثر نصح فيها ابنه ، وأوصاه بمجموعة من الأخلاق التي حرم من الجاهليون عليها ، وما قاله في القصيدة المذكورة :

ودع التسواني في الأمور ركن لها سلسلا ذلولاً  
وابسط يمينك بالندي وامدد لها باعاً طويلاً  
وابسط يديك بمنك ملكك ت وعيد الحسب الأثيلاً

واعصوم إذا حاولت أم رأ يفرج المسم الدخيلا  
وابذل لضيقتك ذات روح لك مكرما حتى يزولا (١)

إلى آخر الآيات التي تبين ما يحرص عليه ذو الإصبع - في حديثه  
لإبنه - من التأكيد عليه بملزمة الأخلاق الحيدة، والتحلي بالصفات  
الجميلة، فهذه النصائح تنم عن تجربة وممارسة من (الوالد). كما لا يخفى أن  
النصيحة وليدة الحكمة، بل لئهما - أي الحكمة والنصيحة - يتيمان  
من معين واحد، ويصيان معاً في نهر الحياة الواسع الكبير.

(ب) الفخر: كان الأمراء الجاهليون يفخرون بأنفسهم وبتبيلتهم،  
وينوهون بشجاعتهم في الحروب، وبكرمهم في حالة الإعسار، وبفهمهم  
جمن أساء، إلى غير ذلك من الصفات التي كانت محل إعجاب عند القدماء.  
ونقدم نموذجاً من شعر الفخر: لئرى فيه أسلوب ذى الإصبع في هذا  
اللون الشعري الأصيل، قال:

إنكأ صاحبى لن تدعا لوى ومهما أضع فلن تدعا  
لأنكأ من سفاه رأيكأ لا تجنباني الشكاة والقذعا  
إلا بأن تكذبا على ولن أود سديقا، ولم أنل طبعا  
إن ترعما أغنى كبرت فلم ألف بخيلا نكسا ولا ورعا  
أجعل مالى دون الدما غرضا وما وهى مل أمور فأنصدعا  
أما ترى شكى ربيع أبى سعد فقد أحمل السلاح معاً (٢)

(١) المرجع السابق ٣٠ ص ١٠٠

(٢) شرح المفضليات ٢٥ ص ٥٧٤ وما بعدها

وقد شرح التبريزي قصيدتين لشاعر عده أن اختارهما المفضل الضبي في (المفضليات). وتعتبر هاتان القصيدتان من أفضل ما قاله ذو الأصم وهما يمثلان شعر الفخر عنده أصدق تمثيل، ومن قوله في القصيدة الثانية:

كل امرئ راجع يوماً لحيته  
ولأن تحالي أحياناً إلى حين  
عندى خلّاتق أقوام ذوي حسب  
وأخرون كثير كلهم دوني (١)

(ج) اللوم والعتاب: اتجه ذو الإصبع في أكثر ما قاله من لوم وعتاب إلى قبيلته، فقد كان له موقف من الحروب لم يستطع أحد أن يتحدى إليه، أو يقتنع به المتحاربون فيها، كما أن موقفهم من ابن عمه لم يستحق إلا اللوم والتفريع، وكثيراً ما اتجه بالحديث إليه حديثاً مباشراً، أو من خلال غيره بنفسه أو عتابه للآخرين، ونراه في الآيات التالية يلوم ابن عمه، ويذكر ما كان بينهما، قال:

لي ابن عم على ما كان من خلق  
مختلفان فأقلبه ويقلبي  
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا  
غفاني دونه بل خلته دوني  
يا عمرو ألا تدع شتمى ومنقصتى  
اضربك حيث تقول المامة اسقوني  
لاه ابن عمك لا أفضلك في حسب  
عنى، ولا أنت ديانى فتحوونى

(١) المرجع السابق ٢٠ من ٩٨ هـ وما بعدها.

ولا تقول عيالى يوم مستية  
ولا بنفسك فى المراء تكفينى  
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصى  
فإن ذلك مما ليس يشجبنى  
ولا يرى فى غير الصبر منقصه  
وما سواء فإن الله يكفينى  
لولا أوامر قريى لست تحفظها  
ورهبته الله فى مولى يعادينى  
إذا بريتك برياً لا انجبار له  
لمى رأيتك لا تنفك تبرينى (١)

وقد جاء القوم والعتاب فى صورة رثاء من الشاعر لقومه على ما كان  
عنهم من خلاف حول الحرب ، والتقصير فى موقفهم من حمرو ( ابن عم  
ذى الإصبع ) ، ويلاحظ أن الشاعر ابتداءً بعض قصائده بالنول على عادة  
الجاهليين ، فهو ليس غرضاً شعرياً قائماً بذاته ، بل يتوسط به إلى غرض  
آخر ، أو يتخذ مدخلاً للموضوع الأصيل للقصيدة .

### ٣ - الإعجاب بشعره :

ترجم أبو الفرج الأصبهاني لذى الإصبع فى قرابة العشرين صفحة ،  
وذكر فى هذه الترجمة أكثر من نصف مائة من شعره ، كما كان حريصاً  
على أن يستكمل بعض القصائد .

وقد عرف به وتحدث عنه كثير من أصحاب كتب التراجم ، ولكن

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ وما بعدها .

يبدو أن ما قاله ذو الأصبع أكثر مما وصلنا من شعره ، ويرجع ذلك إلى عدم وجود ديوان له يجمع فيه كل ما قاله من قريض ، ولولا أن هذه الكتب القديمة جمعت بين دفتيها هذا القدر من شعره لما وجدنا هذا المتبقي بين أيدينا ، والذي نعرف الرجل ، وتحدث عنه من خلاله .

ذكر الأصمعي موقفاً يكشف عن إعجاب عبد الملك بن مروان بشعر ذي الأصبع ، وتزداد قيمة هذا الإعجاب إذا عرفنا أن عبد الملك كان أديباً ناقداً ، أما راوي هذا الموقف — كما جاء في الأغاني — فهو عمر بن شبة الذي تحدث عما ظفريه معبد بن خالد الجدلي من الخليفة لحفظه قصيدة ذي الأصبع التي يقول في أولها :

وليس الأمر في شيء من الإبرام والنقض  
إذا أبرم أمراً خا له يقضى ، وما يقضى (١)

كما أعجب المفضل الضبي بقصيدتين لذي الأصبع ، وجمعهما في المنفصليات بل إن التبريزي قد ذكر روايتين للقصيدة الأولى ، مما يؤكد إعجاب القدماء بهذا الشاعر الذي مات قبل الهجرة بمئة وعشرين عاماً ، وكان من المعمرين .

#### ٤ — خصائص شعره :

(١) يتصف شعر ذي الأصبع بالذاتية ، وهي ميل الشعر إلى الجانب الوجداني ؛ وقد ظهر ذلك في كل ما ذكرناه من شعر له سواء في حديثه إلى أبنائه أم في عتابه لابن عمه ، أم في لومه لقبيلته ، أو من خلال المطالع



التولية التي كان يبدأ بها قصائده ، على أن هذه الذاتية تنبع من الواقع ،  
وتأى عن الخيال تمثيلاً للحياة الجاهلية .

كما أن المعاني الشعرية مستقاة في معظمها من البيئة الحضرية حيث كان  
يقوم آل عدوان بالطائف ، وهي واحدة من القرى المتحضرة .

(ب) تتسم المعاني بالسور والرفعة والوضوح . وتعرض للعلاقات  
الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، وتنبد العادات الصار كالأحقاد  
والصفائن .

(ج) تتميز التراكيب بالسهولة والمتانة والأصالة .

(د) تبدو الملاح الجاهلية على ألسان الشاعر . من حيث الجزالة  
والملازمة للبيئة والتفرد ، ولذلك جاء شعره متميزاً على شعر الكثير من  
أبناء عصره .

## الفصل الثالث

### شعراء آخرون

أولاً - غيلان بن سلة .

ذكر القدماء مجموعة من الأخبار عن غيلان بن سلة وشعره ، وظهر منها أن ما كتب عنه يتجاوز موهبته المحدودة في قول الشعر ، إذ لم نطالع له قصيدة طويلة على غرار الجاهليين من شعراء الطائف ، وأكثر ما ذكر له عبارة عن مجموعة من المقطوعات الشعرية التي قالها في مواقف مختلفة ، وجاء أكثر هذه المقطوعات في كتاب الأغاني ، ولم يرد له شيء في طبقات الجحى الذي يتحدث عن شعراء الطائف في فصل موجز مستقل .

وهو : غيلان بن سلة بن معتب بن مالك ... (١) ، ويصل نسبه إلى ( قس ) وهو ثقيف .

وقد جمع بين قول الشعر والحكمة والخطابة والغزوية ، حيث شهد بعض المواقع القتالية بين الثقفيين وغيرهم ، وظفر فيها بالنصر ، وقال في ذلك شعراً يسجل به شجاعته وبطولته وحماسة قومه . وتزوج عشرة نسوة منهن خالدة بنت أبي العاص التي أنجب منها أبنيه ( عمراً وعامراً ) .

أسلم غيلان بعد فتح الطائف ، وأسلبت منه نساؤه العشر ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعاً ويفارق سائرهن ، وجاء في

(١) الأغاني ج ١٣ ص ٢٠٠

(٥ - شعراء)

هاتش طبقات ابن سلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله هو وعروة ابن مسعود الثقفي إلى جرش ليعلمان صنعة الدباب والضيور والمجانيق ، فلم يشهدا حينئذ ولا الطائف (١) . وتوفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب : « وكان قسم ماله كله بين ولده ، وطلق نساءه ، فقال له عمر : إن الشيطان قد نفث في روعك أنك ميت ، ولا أراه إلا كذلك ، لترجعن في مالك ، ولتراجعن نساءك ، أو لأمرن بقبرك أن يرجم كما يرجم قبر أبي رغال ، ففعل ... » (٢) .

ولذا كان غيلان قد أسلم فإن ما قاله من شعر لا يعبر إلا عن حياته الجاهلية بما فيها من حروب وتفاخر وبكاء وعلاقات ذات طبائع خاصة مع النساء .

فلقد ملته زوجته ، وتحت عليه ، فأفكر أخلاقها ، ومدها بالطلاق قائلاً :

يا رب مثلك في النساء غريرة  
بيضاء قد صبحتها بطلاق  
لم تدبر ما تحت الضلوع ، وغرها  
مضى تحمّل عشرين وخلاق (٣) .

(١) أنظر هامش طبقات لخول الشعراء لابن سلام ج ١ ص ٢٦٩ . يتحقق محمود شاكر .

(٢) طبقات لخول الشعراء ج ١ ص ٢٧٠ ، وقيل عن أبي رغال إنه هو الذي بعثه ثقيف مع أرمته والفيل لخدم الكعبة ، فلما نزلا المؤمن بين مكة والطائف ، مات أبو رغال هناك ، فرجعت قبره العرب ( هامش الطبقات ج ١ ص ٢٧٠ ) يتصرف .

(٣) الأغاني ج ١٣ ص ٢٠٣

وقال في انتصار ثقيف بقيادته على خنم :

ألا يا أخت خنم خيرينا  
بأى بلا قوم تفخرينا  
جلينا الخيل من أكناف وج  
وليث نسوكم بالذنا عينا  
وأيناهن معلنة رواه  
يقتان الصباح ومعتبنا (١)

وقد جمع غيلان - مثل أكثر الجاهليين - بين قول الشعر وقول  
النثر، وروى له صاحب الأغاني وصية لابنائه التي فيها الضربان من  
القول، فذكر فيها رواه عن السابقين : ( لما حضرت غيلان بن سلمة  
الوفاء، وكان قد أحسن عشرأ من نساء العرب في الجاهلية قال : يا بني،  
قد أحسنت خدمة أموالكم، وأججت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غدوتم  
من كريم وغدا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها مغازي السكرم، وعليكم  
بكل رمكة مكيكة، ركيكة، أو بيضاء تزينة في خدر بيت يثبع، أو جد  
يرجي، وإياكم والقصيرة الرطلة، فإن أبغض الرجال إلى أن يقاتل عن  
للي، أو يناضل عن حبي، القصير الرطل، ثم أنشأ يقول :

وحرة قوم قد تنوق فعلها وزينا أقوامها فتزيت  
رحلت إليها لا ترد وسيلتي وحلتها من قومها فتحميت (٢)

(١) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٠٤

(٢) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٠٥، ونسب البيتان في كتاب البيان

والتيين للمعاصي إلى عثمان أب العاص (انظر هامش الأغاني ج ١٣ ص ٢٠٥)

وتجلت مقدرة غيلان في هذا النص السابق الذي جمع فيه وصيته لابنائه حول الزواج مستفلا خبرته في هذا الجانب من خلال تعامله مع زوجاته العشر خاصة وأنه هدد بعضهن ، وطلق الأخريات قبل موته ، لولا أن تدخل عمر بن الخطاب وقضى بإعادة الأمور إلى ما كانت عليه .

وظهرت حنكة هذا الشاعر الحكيم في لقائه المشهود بكسرى الذي جاء بروايتين ، وفيهما أنه التقى به وسأله كسرى عن أحب أولاده إليه فقال : « الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب » وسأله عن طعامه وعن أشياء أخرى ، فأعجب به كسرى ، وأرسل معه من الفرس من بني له قصرا بالطائف ، فكان أول قصر بنى بها .

وقال غيلان عند خروجه للقاء كسرى :

ولو رآني أبو غيلان إذ حسرت

عنى الأمور إلى أمر له طبق

لقال رغب ورهب يجمعان معاً

حب الحياة وهول النفس والشفق

لما بقيت على محمد ومكرمة

أو أسوة لك فيمن يهلك الورق (١)

وقد اشتهرت ابنته (بادية) بالجمال المهر حتى قال فيها هيت الخنثى لعبد الله بن أمية : « إن فتح الله عليكم الطائف ؛ فإني أدلك على بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ، فسمعه النبي ﷺ فقال : « قاتلك الله لقد أمعت النظر ، وقال : لا يدخان هؤلاء عليك ، ثم نفاه إلى روضة

١ (١) الأغاني ١٣ ص ٢٠٦ — والورق : الفضة .

حناخ ، فقيل : إنه يموت بها جوعاً ، فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة ،  
يسأل الناس (١).

قال غيلان شعره في عدة موضوعات منها : الفخر الذي طرق بابه  
أكثر الشعراء الجاهليين ، أما هو فقد جاء ثغره بمدينته (الطائف)  
وبقبيته (ثقيف) فضلاً عن ثغره بنفسه . ويلاحظ أن هذه الضروب من  
الفخر ذات هدف واحد ، تثقيف تسكن الطائف ، وغيلان فارس من  
غوارس هذه القبيلة ، وقد قال مفتخراً بمدينته :

حللنا الحد من تلعات قيس  
بحيث يحل ذو الحب الجسيم  
وقد علت قبائل جذم قيس  
وليس ذوو الجهالة كالعلم  
بأنا نصبح الأعداء قدما  
سجال الموت بالكأس الوخيم  
وأنا نبني شرف المعالي  
ونعش عشرة المولى العديم  
وأنا لم نزل لجأ وكهفا  
كذاك الكهل منا والفطيم (٢)

وقال غيلان بعض المقطوعات الشعرية في الحاسة والحرب ، كذلك  
الآيات التي تنفي فيها بالتصاغر تثقيف على بني عامر بن ربيعة وهي :

---

(١) الروض الأنف للسبيل ج ٤ ص ١٦٣ مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٤ ص ١٢ (١٢٠٠ - ١٢٠١) .

ودع بدم إذا ما حان رحلتنا  
أهل الخطائر من عوف ودهمانا  
والقاتلين وقد حلت بساجتهم  
جسر تحسب عن أولاد دهمانا  
والقاتلين وقد رابت وطائهم  
أسيف عوف ترى أم سيف غيلانا  
أغصوا الموالي عنا لا أبا لكم  
إنا سنقتل صريح القوم من كانا  
لا يمنع الخطر المظلوم نجمة  
حق يرى... بالعين من كانا (١)

كما أن لغيلان بعض المقطوعات التي يكي فيها على من مات من قومه  
كأبيه (عامر) وأخيه (نافع)، وما قاله في رثاء ابنه عامر الذي مات بالشام  
في طاعون حمى، وكان يومئذ فارس ثقيف :

عيني تجود بدمعها الحسان  
سحبا وتبكي فارس القرسان  
يا عام من اللخيل لما أحجمت  
عن شدة مرهوبة وطعان  
لو أستطيع جعلت مني عامرا  
بين الضلوع وكل رحي فان (٢)

(١) الأغاني ج ١٣ ص ٢٠٣

(٢) المرجع السابق ج ١٤ ص ٢٥٢

وهكذا وضع لنا أن غيلان بن سلة لم يكن شاعراً خلا ، بل كان مقلاً ، وكان قصير النفس ، إذ لم يزد أى نص شمرى عما وصلنا له عن تمجيد آيات .

وجاء شعره في أكثر الفنون التي جأر بها الجاهليون ، وهي الفخر والحاسة والثناء ، أما ما قاله من غزل فلم يخرج عن حدود البيت أو البيتين اللذين يبدأ بهما موضوعه الشعري .

وقد مالت ألفاظه إلى الخفة والركة والسهولة ؛ لاقتراب حياته من تبشير الإسلام ، حيث تخلل الجاهليون والمختصرون منهم بخاصة عن الألفاظ الجوزلة والمصانيف الحسية التي احتشد بها ديوان الشاعر الجاهلي القديم .

ثانياً - كنانة بن عبد ياليل بن عمرو الثقفي .

حمل إلينا تاريخ ثقيف في الجاهلية اثنين من الشعراء اسم كل منهما (كنانة بن عبد ياليل) . وقد خلط الناس بينهما كثيراً ، ولذلك فإننا نستهل الحديث عن الشاعر المصهور منهما بفرقة بين الاثنين .

فالأول هو ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم ابن ثقيف (١) ، ويعرف بكنانة بن عبد ياليل ، وهو شاعر فارس ذكر له الأمدى في المؤلف قوله :

إن المنية بالفتيان ذاهبة ولو تقوها بأسياف وأدراع  
بيننا الفقى يتغنى من عيشه سدا  
[إذ حان يوماً فنادى باسمه الداعي

---

(١) انظر قوائم كتاب طبقات لحول الشعراء ج ١ ص ٢٦٠



لا تجعل المم غلا لا انفراج له  
ولا تكونن كقوما ضيق الباع  
ويعرف بابن الذئبة، والذئبة أمه (١).

وذكره المرزباني، وقال إنه كان إمدح النعمان بن المنذر، ثم ذكر  
(كنانة) الثاني، وقال: «وأمرهما مشكل لانفاق الأسماء وانحلاف  
النسب والله أعلم» (٢).

أما الثاني، وهو المعنى يحدثنا هنا فهو: كنانة بن عبد ياليل بن عمرو  
ابن عمير بن عوف بن عقدة الثقفي، وهو ابن عم أبي عجين الثقفي الشاعر  
الإسلامي المشهور، ولم يقتصر أمره على الخلط بينه وبين (كنانة)  
الآخر، بل شهدت حياته اضطرابا آخر، فقد ذكرت كتب السير والتاريخ  
أنه «كان من أشرف ثقيف الذين قدموا على رسول الله ﷺ»، بعد  
عوده من حصار الطائف، وبعد قتلهم عروة بن مسعود فأسلم وفيهم عثمان  
ابن أبي العاص، (٣).

وذكر بعضهم أنه قدم مع الوفد، وأسلموا جميعا إلا كنانة، وقد  
ترك الطائف، واتجه إلى نجران، ثم انتقل منها إلى بلاد الروم فمات فيها  
بعد السنة العاشرة من الهجرة كافرا، وكأنه استعظم أن يسوده رجل  
من قريش وهو الرسول ﷺ (٤).

(١) انظر المؤلف والمختلف للامدي (أول كتاب معجم الشعراء  
للرزباني) ص ١٢٠ نشر مكتبة القدس، الطبعة الأولى.

(٢) معجم الشعراء للرزباني ص ٣٥٣.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٥٠٠ طبعة دار الشعب.

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٤٦.

وأرجح أن يكون كثافة هذا قد أسلم مع وفد ثقيف ؛ لأن أكثر المؤرخين والرواة قد قالوا بذلك ؛ كما أن شعره القليل الذي نقل إلينا لا يحمل في مضمونه خروجاً على إجماع الوفد ، ثم إن أبيه كان من بين هذا الوفد ، وقد أسلم أيضاً ، ثم عاد إلى ثقيف فأسلت كلها .

وذكر ابن هشام ( في السيرة النبوية ) وغيره مثل ابن كثير ( في البداية والنهاية ) أن كثافة ذكر قومه ، وانتخبر بهم أمام الرسول ﷺ في معرض رده وإجابته لكعب بن مالك في هذه الآيات :

من كان يبيتنا يريد قتالنا فإنا بدار معلم لا نريها  
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى  
وكانت لنا أطواؤها وكرومها

وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر  
فأخبرها ذو رأيها وحليمها  
وقد علمت إن قالت الحق أنسا

إذا ما أتت صر الحدود تقيمها  
لقومها حين يلين شريسها ويعرف للحق المبين ظلومها  
علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء ديتنا نجومها  
ترفعها عنا ببيض صوارم إذا جردت في غمرة لانسيمها (١)

وهكذا يتوافق كثافة بن عبد ياليل بن عمرو الثقفي مع شعراء الطائفة في افتخارهم بقبيلتهم ( ثقيف ) أكثر قبائل الطائفة عدداً في الجاهلية .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٣٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٤٦ .

وذكر الجميع في كتابه الطبقات كثرة من بين شعراء الطائفة ، وإن لم يورد شيئاً من أخباره أو أشعاره .

ومن الشعر القليل الذي قاله كثرة ما ذكره له أبو عبيد البكري وفيه يفتخر بالطائفة ( أيضاً ) ويذكر فضلها ، قال :

كان الله لم يؤثر علينا      غداة تجرأ الأرض اقتساما  
عرفنا سبها في الكف يهوى      لدى وج قد قم السهاما  
فلما أن أبان لنا اصطفتنا      سنام الأرض إن لنا سناما  
أسأفها منازل كل حي      وأعلاها لنا بدأ حراما (١)

وقد امتد الفخر القبلي عند كثرة إلى دعوته للمطاء ومد الحير إلى الأقارب ، وخص منهم ذوى الأرحام ، قال :

صلاة وتسيح وإعطاء فائل      وذو رحم تناله منك إصبع (٢)  
وليس بين أيدينا ما يؤكد على تأصيل الشعر عند كثرة ، أو تجاوزه  
لهذه الأفكار التي قرأناها في شعر نظرائه ( الطائفيين ) ويكفيه أننا  
ذكرناه في عداد الشعراء المقلين .

---

(١) معجم ما استعجم للبكري ج ١ ص ٧٨ .  
(٢) الموازنة للأمندي ج ٢ ص ١٦٥ تحقيق محمد محي الدين  
عبد الحميد .

ثالثاً - أبو الصلت الثقي :

أبو الصلت بن ربيعة واحد من شعراء ثقيف في الجاهلية ، وقد جاءت إليه الشهرة من ابنه ( أمية بن أبي الصلت ) رغم أن ما تحت أيدينا من شعر لأبي الصلت لا يجعل منه شاعراً خلاقاً رغم ارتباطه بالطائف وحديثه عنها واقتضاره بها .

وقد أورد له ياقوت نموذجاً شعرياً يصف فيه الطائف وهو قوله :

نحن المبتون في وجع على شرف  
تلقى لنا شفعا منه زواركنا  
لنا نحن نسوق العير آونة بنسوة شعث يزججن ولدانا  
وما وأدنا حذار المول من ولد  
فيها وقد وأدت أحياء عدنانا  
ويانع من صنوف الكرم عنيدنا  
منه ، ونعصره غللا ولدانا  
قدادامات وأمت مأثما غدق  
يمشي معا أصلها والفرع أبا نانا  
إلى خضارم مثل الليل متجنا فوما وقصبا وزيتونا وزمانا  
فيها كواكب مثلوج مناهلها يشق الغليل بها من كان صديانا  
ونقربات صفون بين أرحلنا تخالها بالكاء الصيد قصيانا (١)  
وليس غافياً أن ما افتخره به أبو الصلت في الطائف لا زال أكثره

(١) شمع البلدان ج ٥ ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ .

فانما إلى اليوم مثل القلاع الحصينة والقواكه المتنوعة والمناهل العذبة -  
كما افتخر بأخلاق (الطائفين) .

وروى ابن سلام وابن قتيبة في كتابيهما قصيدة لأبي الصلت يمدح  
فيها سيف بن ذي يزن ، ويشيد بالفرس الذين ساعدوه على تحرير اليمن  
من يبر الحبشة ، وقد نظمت هذه القصيدة عام ٥٧٣ م والرسول ابن  
عامر (١) وأورد ابن سلام من هذه القصيدة سبعة أبيات أولها :

فه درهم من عصبة خرجوا ما إن ترى لهم في الناس أمثالا

وزاد عليها ابن قتيبة إلى أن بلغت اثني عشر بيتاً ، وأولها عنده :

لن يطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن

للمج في البحر للأعداء أحوالا

ولم يقتصر رواية هذا الشعر على الكتائب المذكورين بل ورد في  
كتب أخرى متعددة (٢) ثم رواها أبو الفرج على أنها لأمية بن أبي  
الصلت ، وليس لأبيه ، كما جاءت في ديوان أمية وقيل إنها تروى لأبيه ،  
كما تروى لجدّه ذمعة (٣) .

وقد وجد الدكتور طه حسين في هذه القصيدة من حيث إشارات  
بالفرس ، واختلاف الرواة حول نسبتها لأمية أو لأبيه أو لجدّه كما يقول  
الديوان — ما يخدم رؤيته حول الشعبية والاتصال .

(١) انظر ما كتبه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن أمية بن أبي  
الصلت وأبيه في كتاب (أشعار الشعراء الستة الجاهليين) ص ١٩١ .  
(٢) مثل السيرة النبوية لابن هشام والحاسة للبحرّي والأمالى للشجري  
وغيرها .

(٣) ديوان أمية ص ٦٥

وأفاد بأن الموالى قد نهضوا بإطلاق بعض الشعراء شعراً فيه مدح للفرس وتناء عليهم وتقرب منهم ، قال :

« وهم أنطقوا شاعراً من شعراء الطائفة بأبيات رواها الثقات من الرواة على أنها صحيحة لاشك فيها ، وهي أبيات تضاف إلى أبي الصلت ابن ربيعة ، وهو أبو أمية بن أبي الصلت المعروف » (١) .

وليس لنا من تعقيب على ما قاله طه حسين فإن قصيدته أوسع من أن تتحدث عنها هنا ، وإن كانت لنا كلمة ، وهي أن القصيدة تشبه شعراً أمية من نواح كثيرة ، وأولها الصياغة اللفظية التي قرأنا ما يشابهها في شعره ، فضلاً عن موضوعها الذي يقترب من توجهاته ؛ إذ أنه قد زار اليمن . وتنقل بين ربوعه ، وتعرف على مشكلاته وقضاياها .

---

(١) في الأدب الجاهل لطله حسين ص ١٦٣ طبع دار المعارف .

the first of these is the fact that the  
the second is the fact that the  
the third is the fact that the  
the fourth is the fact that the  
the fifth is the fact that the  
the sixth is the fact that the  
the seventh is the fact that the  
the eighth is the fact that the  
the ninth is the fact that the  
the tenth is the fact that the

the first of these is the fact that the  
the second is the fact that the  
the third is the fact that the  
the fourth is the fact that the  
the fifth is the fact that the  
the sixth is the fact that the  
the seventh is the fact that the  
the eighth is the fact that the  
the ninth is the fact that the  
the tenth is the fact that the

## الباب الثاني

### الباب الثاني شعراء الطائف في العصر الإسماعلي

في هذا الباب نعرض لعدد من شعراء الطائف في العصر الإسماعلي، الذين لم يتركوا خلفهم سوى قصائد قليلة، لكنها تمتاز بالقيمة الأدبية والفنية العالية، والتي تجعلهم من الشعراء الذين لا يمكن تجاهلهم في تاريخ الأدب العربي.

من هؤلاء الشعراء: أبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي.

ومن هؤلاء الشعراء: أبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي، وأبو جعفر العباسي.



## الفصل الأول

### أبو محجن الثقفي

شاعر الحر والفروسية

- ١ -

أبو محجن الثقفي هو شاعر ثقيف في عصر صدر الإسلام، وقد عرف بهذه الكنية التي غلبت عليه، حتى قيل إنه تسمى بها وكنيته أبو عبيد أما اسمه فقد اختلف فيه فقليل إنه : عمرو بن حبيب بن عمرو بن عوف الثقفي، وقال أبو الفرج إن « اسمه عبد الله بن حبيب ... » (١) كما قيل إن اسمه (مالك بن حبيب)، ونلاحظ أنه معروف بالنسب، أما اسمه فهو (عمرو) أو (عبد الله) أو (مالك) ولكنه اشتهر بأبي محجن.

وقد عرفت أسرته بالشرى والسيادة والثراء من أطرافها كافة، وهو القائل:

قد يعلم الناس أنا من سراهم إذا سما بصر الرعدة القرق (٢)  
ولدا أبو محجن في مدينة الطائف، ونشأ بها، ولكن المصادر تفنن علينا بتفاصيل حياته طفلاً وشاباً، ثم تظهر شخصيته بارزة لامعة في حصار الرسول ﷺ للطائف سنة ثمان من الهجرة بعد الانتصار على هوازن وحلفائها في معركة حنين.

(١) ثم أكمل نسبة... اعظر الأغانى ١٩ ص ١ طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) ديوان أبي محجن (صنعة أبي هلال العسكري) نشر الدكتور صلاح الدين المنجد ص ١٩ طبع دار الكتاب الجديد - بيروت.

ولقد بذل أبو محجن جهداً كبيراً في الدفاع عن مدينته إلى أن فلك الحصار عنها ، و انتهى الأمر بقيتيته (تقيف) إلى الإسلام فيما بعد . وكان أن أسلم معهم في السنة التاسعة من الهجرة حيث قدم وقدم على الرسول ﷺ في المدينة المنورة .

ويبدو أن محبة أبي محجن للرسول كانت قصيرة لم تتجاوز مرة أو مرتين روى فيهما بعض الأحاديث (١) ، ولم يتحقق له الجهاد تحت اللواء النبوي خاصة وأنه أسلم بعد تبوك ، وهي آخر غزوة شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم .

وليس في حياة أبي محجن — بعد إسلامه — شيء ذو بال سوى ولعه يشرب الخمر واشتهاره بذلك في غير مجاهرة أو إعلان ، ثم قويت إصلته بأبي بكر الصديق بعد وفاة الرسول ﷺ ، ومدحه بثلاثة أبيات ذكرهما ابن عبد البر في كتابه (الاستيعاب) .

ولقد تواصلت حروب المسلمين مع الفرس بمزيمة وثبات في عهد عمر ابن الخطاب ، وانتدب الخليفة لهذه الحروب كثيراً من التقفيين فأبلاوا فيها بلاء حسناً ، وكان منهم أبو محجن الذي هباً نفسه للمشاركة في موقعة الجسر إلى جانب فرسان تقيف . وقد احتدم القتال في هذا اليوم وأصيب من الفرس ستة آلاف ، ومع ذلك لم يكتب النصر للمسلمين ، واستشهد من تقيف وحدها ثلاثمائة رجل منهم أبو عبيد الثقفي الذي كان أميراً على الجيش في هذا اليوم ، واستشهد أخوه (الحكم) وقيس ابن حبيب (أخو أبي محجن) ، وقد تحدث شاعرنا عن يأسه .

(١) انظر كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لمز الدين بن الأثير ٦٥ ص ٢٧٦ طبعة دار الشعب .

(٦ — شعراء)

وفروسيته في هذا اليوم فقال :

إلى فتية بالطف نيلك سراتهم  
وغودر أفراس لحم ورواحل  
وأضى أبو جبر خلاه بيوته  
بما كان ينفوها الضعاف الأراذل  
وأضى بنو عمرو لدى الجسر منهم  
إلى جامد الآيات جود وتائل  
وما لمت نفسي فيهم غير أنها  
إلى أجل لم يأتها وهو عاجل  
وما رمت حتى خرقوا برماحهم  
ثيابي وجادت بالدماء الأباجل  
وحق رأيت مهزق مزوثة  
لدى الفيل يدي نحرها والشواكل  
وما رحت حتى كنت آخر رائح  
وصرح حول الصالحون الأماثل  
سررت على الأنصار وسط رحالم  
فقلت لهم : هل منكم اليوم قافل ؟  
وقربت رواحا وكورا ونمرا  
وغودر في أليس بكر وواثل (١)

---

(١) الديوان ص ٣٠ وما بعدها .

وعاد أبو عبيد من العراق . لا إلى الطائف حيث يعيش أبليصة وذووه . وإنما إلى المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت ، وكأنه تحاشى زيادة الشعور بالألم ، فابتعد عن الطائف ، لموت الكثيرين من أقربائه بالعراق في حروب المسلمين مع الفرس ... وكيف تزوق له الحياة في مربع صباه بعد أن غاب عنه المبرزون من قومه ؟

ولم تهدأ نفسه بالمدينة في ظل الفراغ القاتل الذي أمسك به ، فعاد إلى احتساء الحزن ، والتف حوله بعض القرناء الذي جاوره في عبته وبجونه ، ولكن أتي لهم ذلك . وقد كان الفاروق لهم بالمرصاد . إذ لم يخف عليه صنيعهم ، خاصة وأنه يعرف أبو عبيد منذ حصار الطائف ، عندما خاطبه عمر بما لا يرتاح له ، فقد ذكر الجاحظ ذلك . إذ قال : « ولما قال أبو عبيد الثقفي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حائط الطائف ما قال ، قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( إنما أنت تعلم في جحر ، فأبرد من الحصن إن كنت رجلاً ) » (١) .

وقد أدمى أبو عبيد شرب الخمر في المدينة حتى إن الفاروق أقام عليه الحد عدة مرات ( سباً أو ثمانياً ) وهو لا ينتهي ، ولم يستطع أبو عبيد في أثناء هذه المدة البسيطة أن يقطع صلته بالماضي ، فيقطع عن شرب الخمر ، ولكنه كان ضعيفاً أمامها ، كما قال الدكتور شكرى فيصل : « والحق أن حياة أبي عبيد توشك أن تكون صورة واضحة لقولاء الذين دخلوا في الدين الجديد ، وإنما ظل عالماً في نفوسهم شيء من أهوائهم المستعكة وعاداتهم الأولى ، لم يستطيعوا فكاً كما منها ولا انصرافاً عنها ، ويشبه

---

(١) الحيوان للجاحظ ٦ ص ٣٠٣ تحقيق عبد السلام هارون .  
الطبعة الثانية ( الحلبي ) .

أن يكون أبو محجن كالمغلوب على أمره. يود لو أنه انتقاد إلى ما يأمره.  
به الإسلام من الإفلاخ عن الحر غير أنه لا يملك ذلك من نفسه ، فقد  
كان ضعيفاً أمامها قاصراً عن مقاومة إغرائها والصبر عليها ، (١) .

ورأى عمر أنه يستحق النقي من الحجاز إلى جزيرة في البحر يقال لها  
( حضوضي ) لكثرة شربه الخمر ، وقد ذكر صاحب الأغاني سبباً آخر  
لهذا النقي ، وهو حبه لامرأة من الأنصار ، وتحدث أبو الفرج عن ذلك  
فما يرويه عن ابن الأعرابي فذكر ... ، أن أبا محجن هوى امرأة من  
الأنصار يقال لها ( شموس ) ، فحاول النظر إليها بكل حيلة فلم يتدر عليها ،  
فأجر نفسه من عامل يعمل في حائط (٢) إلى جانب منزلها ، فأشرف من  
كوة في البستان فرأها فأنشأ يقول :

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها

خرج من الرحمن غير قليل

قد كنت أحسبني كأغني واحد

ورد المدينة عن زراعة فصول

فاستبدى زوجها عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ففناه إلى  
حضوضي ، وبعث معه رجلاً يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله  
عنه يستعين به ، (٣) .

واعتقد أن شرب أبي محجن للخمر ، وحديثه عنها قد عجل - بصورة -

(١) تطور الفول بين الجاهلية والإسلام للدكتور شكري فيصل

ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٣ طبعة دار العلم للدلايين ١٩٨٢ م الطبعة السادسة .

(٢) الحائط : البستان .

(٣) الأغاني ١٩٠ ص ٢

وميسية - في إيماده من الحجاز إلى الجزيرة المذكورة في حراسة  
(ابن جبراء)، وقال الفاروق لهذا الحارس فيما يرويه أبو الفرج: «لا تخرج  
أبا محسن يخرج معسيفاً، فعمد أبو محسن إلى سيفه، فجعل يهله في غرارة،  
وجعل جفنه في غرارة أخرى فيما دقيق له.

فلما انتهى به إلى الساحل، وقرب البوصى (١) اشترى أبو محسن شاة،  
وقال لابن جبراء: «هلم تتعد ووثب إلى الغرارة، كأنه يخرج منها دقيقاً  
فأخذ السيف، فلما رآه ابن جبراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب  
بعبيره واجماً إلى عمر فأخبره الخبر» (٢)، ويقول أبو محسن في ذلك:

الحمد لله نجاني وخلصني  
من ابن جبراء والبوصى قد حبسا  
من يحشم البحر والبوصى مركبه  
إلى حضوضى قبس المركب التسا  
أبلغ لديك أبا حصص مغلفة  
عبد الإله إذا ما غار أو جاسا  
إني أكر على الأولى إذا قرعوا  
يوما واحبس تحت الراية الفرسا  
أغشى الحياج وتغشاني مضاعفة  
من الحصيد إذ ما بعضهم غشفا (٣)  
وذكر أبو الفرج خيراً آخر في تغريب أبي محسن، لا يختلف عن

(١) البوصى: ضرب من السفن.

(٢) الأغانى ج ١٩ ص ٢

(٣) المرجع السابق ٩١ ص ١، ص ٢ والديوان ص ٣٤ وما بعدها.

الأول إلا في شيء واحد وهو أن الحارس لم يكن وحيداً بل كان مع رجل آخر - لقول أبي محجن :

صاحباً سوء صحبتهما صاحباني يوم ارتحل  
ويقولون : ارتحل معنا فأنادى : إني ثمل  
إني بأصكرت مترعة مرة راووقها خصل(١)

ومهما يكن سبب النفي فإنه قد هرب من الحارس أو من الحارسين ، وأقبل إلى سعد بن أبي وقاص ، وهو يقاتل المعجم ، فإن لديه الرغبة العارمة في إشباع نهمه من الانتقام من الفرس الذين قتلوا أخوته وبني عشيرته يوم الجسر : ولم يصمت عمر عما اقترفته أبو محجن أثناء ارتحاله للنفي ، فكتب إلى سعد بحبسه ، فحبسه ، وقبده في القصر المطل على أرض القتال في القادسية .

وتحدث ابن الأثير عن بلاء أبي محجن وجهاده مع سعد ابن أبي وقاص فقال : « فلما كان بعض أيام القادسية ، واشتد القتال بين الفريقين سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد البلقاء ، وعاهدها أنه إن سلم عاد إلى حاله من القيد والسجن ، وإن استشهد فلا تبعه عليه فلم تفعل ، فقال :

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا  
وأترك مشدوداً على وثاقها  
إذا قت عتاني الحديد وغلقت  
مصارع دوني قد تصم المناديا  
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة  
فقد تركوني واحداً لا أجد لي

(١) الأغاني ج ١٩ ص ٣ - والديوان ص ٥٣

حبستنا عن الحرب العوان وقد بدت  
وأعمال غيرى يوم ذاك الحواليا

فله عهد لا أخيس يمهده  
لئن فرجت أن لا أزور الحواليا (١)

فلما سمعت سلمي (٢) امرأاً سعد رقت له ، ففكت سيبله ، وأعطته  
الفرس ، فقاتل قتالا عظيماً ، وكان يكبر ويعمل فلا يقف بين يديه أحد ،  
وكان يقصف الناس قصفاً منكراً ، فعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه ،  
ورآه سعد ، وهو فوق القصر ينظر إلى القتال ، ولم يقدر على الركوب  
لجراح كانت به ، وضربان من عرق النسا فقال : لولا أن أبا محجن  
محيوس لقلت (هذا أبو محجن . وهذه البلقاء تحته) فلما تراجع الناس  
من القتال ، وعاد إلى القصر ، وأدخل رجله في القيد ، فأعلت سلمي  
سعداً خبر أبي محجن ، فأطلقه وقال : اذهب لا أحسدك أبداً .

(١) يلاحظ الاختلاف بين رواية الآيات هنا وبين روايتها في  
الديوان وغيره من أمهات الكتب مثل طبقات غول الشعراء ، والشعر  
والشعراء والأغاني .

(٢) هي سلمي بنت أبي حفصة والأصح أن ذلك كان من ذرية أم  
ولد سعد ، كما وردت في طبقات غول الشعراء ، فقد جاء بيت من الشعر  
بتاريخ الطبري وهو :

ألا ليتي والمرء سعد بن مالك

وزبراء وابن السمط في لجة البحر

وسعد بن مالك هو سعد بن أبي وقاص ، وهذا دليل على صحة (زبراء)  
كما جاءت في الطبري وابن سلام (انظر الطبقات بتحقيق محمود شاكر  
ج ١ ص ٢٦٨) .



فتساب أبو محجن حينئذ ، وقال : كنت آسف أن أتركها من أجل الحد ، (١) .

لقد تحدث الأدباء والإخباريون عن يسالة أبي محجن في القادسية ، ولكن حديثهم لا يخرج في مجموعه عن جملة الأحداث السابقة ، والتي تتضمن ترك أبي محجن للقصر وركوب البلقاء ، وقتاله بيسالة ، وعودته بعد النصر إلى حيث كان مقيداً ، وتوبته من الخمر ، وعفو سعد عنه ، وكان قد أنشأ يقول بعد أن رجع إلى القصر (العذيب) الذي كان مسجوناً فيه ، وأعاد رجليه في القيد :

لقد علمت ثقيف غير ظفر  
بأنا نحن أكرمهم حيوطاً  
وأكرمهم دروعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً  
وأرغمهم في كل يوم  
فإن جحدوا فسل بهم عريفاً  
وليلة قادم لم يشعروا بي  
ولم أكره بمخرجي الزحوفاً  
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي  
وإن أطلق أجزعهم حتوفاً (٢)

أما موقفه من الخمر فقد قال إنه كان يشربها إذ كان الحد يقام عليه ،

(١) أسد الغابة ج ٦ ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ٦ والديوان ص ٤٣ وغيرهما مع الاختلاف في عدد الأبيات ، ومواضع بعض الكلمات .

فكأنه يطهر منها ، أما وقد سقط الحدة عنه فلن يشربها أبداً ، وقال في ذلك :

إن كانت الخمر قد عوت وقد منعت  
وحال من دونها الإسلام والخرج  
فقد أبأكرها صرفاً وأمزجها  
رياً وأطرب أحياناً وأمتزج  
وقد تقوم على رأسى منعمة  
شود إذا رفعت في صوتها غنج  
ترفع الصوت أحياناً وتخفضه  
كما يطن ذباب الروضة المزج (١)  
وأقسم بأنه لن يشرب الخمر أبداً بعد أن أفلح عنها تجاوزاً مع موقف  
سعدته قال :

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تهلك الرجل الحليماً  
فلا - والله - أشربها حياتي  
ولا أسقي بها أبداً نديماً (٢)

وقد تحولت أشعار أبي محجن في هذه الفترة إلى التعبير عن عاطفته الدينية التي يغمرها الإيمان والتوبة النصوح ، وصار يذم الخمر وينكرها بعد أن كان يهيم بها ويمشقها . والواضح أن جهاده في القادسية كان حداً فاصلاً بين الحياة اللاهية التي عاشها أولاً ، والحياة الجادة الصادقة التي عاشها ثانياً .

(١) الأغاني ج ١٩ ص ٨١ والديوان ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ١٠ وزيادات الديوان ص ٥٣ .

انتقل أبو محمد الجهاد في بلاد فارس ، فقد كان لبعض الثقفين فيها جولات وصولات خاصة بعد عزل سعد عن الكوفة في عام واحد وعشرين من الهجرة ، ولكن تاريخ أبي محمد غير معروف في تلك الحقبة ، إذ تضمن علينا الروايات بما يكشف عن سيرة حياته ، وتكتفي بعض المصادر بالشول بأنه توفي في أذربيجان ، أو في نواحي جرجان ، أو في أرمينية في عام ثلاثة وعشرين من الهجرة (١) ، بعد أن امتلأت حياته بالشعر والجهاد ، وبأحسن ما يمكن أن تتلأ به ، وكفاء غفراً أن أشاء به سعد بن أبي وقاص في اللقاء الخامس بالقادسية ، وكانت خاتمة أن عاش غريباً ، ومات غريباً ، ولكن نهايته حركت بعض الأساطير التي أخذ بعض الناس يتحدثون عنها معتمدين على بيتين له من الشعر وهما :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه

تروى عظامي بعد موتى عزوقها

ولا تدفني بالفلاة فإنني

أخاف إذا مت ألا أذوقها (٢)

وتذكر رواية الأغاني عن أبي حمزة بن عدي عن مر يعبر هذا الشاعر في أذربيجان ، أو في نواحي جرجان ، فرأى قبره ، وقد نبئت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهي معروضة وعلى قبره مكتوب هذا قبر أبي محمد (الثقفي) وقد وقف المار بقبره يتعجب طويلاً مما أنفق له حتى صار كأميناً بلغها (٣) .

(١) ذكر الزركلي في كتابه الأعلام أنه توفي عام ثلاثين من الهجرة

(ج ٥ ص ٧٦) .

(٢) الديوان ص ٢٣

(٣) انظر الأغاني ج ١٩ ص ١٣

بل إن الخبر يزداد طرافة في بعض المصادر فيذكر روايته أن شجرات  
الكرم تظلل قبر أبي محجن ، والفتيان يخرجون إليه بطعامهم وشراهم  
فيتزعمون عنده ، ويتناشدون الأشعار (١) .

لقد تدارس النقاد والمؤرخون شعر أبي محجن ، بجمعه أبو هلال  
السكري مع أن أكثره من المقطعات الصغيرة كالتى يتغنى بها الشعراء  
أو يشدو بها الثوار ، وذكرت أكثر الكتب التاريخية والتقدية نماذج  
متعددة من هذا الشعر مثل (طبقات خول الشعراء) للجمحى ، و(الحيوان)  
للجاحظ ، و(الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، و(الأغانى) لأبي الفرج ،  
و(العمدة) لابن رشيق وغيرها ، وبلغ الاهتمام بشعره إلى الخلفاء ،  
فذكر صاحب الأغانى ما دار بين معاوية وعبيد بن أبى محجن فقال :  
« دخل ابن أبى محجن على معاوية فقال له : أليس أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه

تروى عظامى بعد موتى عروقه

ولا تدفنى بالفلاة فإبنى

أخاف إذا ماتت ألا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من  
شعره ، قال وما ذاك ؟ قال : قوله :

---

(١) انظر نهاية الأرب للنويرى ٤ ص ٩١ ( مصورة عن طبعة  
دار الكتب المصرية ) .

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته  
وسألي الناس ما فعل وما خلقي  
أعطى السنان غداة الروح حصته  
وعامل الرمح أرويه من الملق  
وأطعن الطمعة النجلاء عن 'عرض'  
وأحفظ السر فيه ضربة المنق  
عف المطالب عما لست فائله  
- وإن ظلمت - شديد الحق والحق  
وقد أجود ومالي بقى فتح  
وقد أكره وراء الحجر البرق  
والقوم أعلم أنى من سرائهم  
إذ سما بصر الرعد بدة الشفق  
قد يمر المرء حيناً وهو ذو كرم  
وقد يثوب سوام العاجز الحق  
سيكثر المال يوماً بعد قلته  
ويكنى العود بعد اليس بالورق  
فقال معاوية : لئن كنا أسأنا لك القول لرحمن لك الصنف (١) ، ثم  
أجول جاعته ، وقال : إذا ولدت النساء فلتلد مثلك (٢) .

(١) الصنف : العطاء .

(٢) الأغاني ج ٩ ص ١٠ ، ص ١١ - راجع الآيات بالديوان ص ١٥ وما بعدها .

إن ديوان أبي محجن يقفنا على جواب أخرى من شعره لم يتنبه لها  
كثير المحققين الذين رأوا أن تجربته لا تتجاوز الحديث عن الحرة  
والحرب في حين أن له بعض الألوان الأخرى التي تكتمل بها موهبته  
الشعرية والتي تأصلت في أواخر العصر الجاهلي ، وتشعبت في عهد الرسول  
ﷺ ، ولذا رأه البعض واحداً من المخضرمين ، في حين أن السمة البارزة  
على شعره أنه واحد من أشهر الشعراء في عصر صدر الإسلام .

(أ) لقد برز أبو محجن في شعر الخمر سواء ماقاله يتنفي فيه بشرها  
أو ماقاله يؤكد فيه توبته منها ، وعزمه على هجرها وعدم العود إليها ،  
وذكرنا له من اللواتي ما يؤكد صدق حديثه فيها معاً ، فهو صادق حين  
يتحدث عن شربه ، وصادق حين يتحدث عن توبته وتدمه ، وقد أبعد  
عن الجواز بسببها — على المشهور من أقوال المؤرخين — ولجأ إلى ابن  
أبي وقاص في القادسية أملاً في الراحة ، وجأ في الجهاد ، وكأنه انتظر  
منه سكوتاً على شربه ، فراه يشرب فقال له : لتنتهين أولاً وجعلك ضرباً .  
فقال : لست تاركها لتو لك أبداً . وبلغه أنه قال :

ألا سقني يا صاح خمرأ فإني  
بما أنزل الرحمن في الخمر عالم  
وجد لي بها صرفاً لأزداد مأتماً  
ففي شربها صرفاً تم المآثم  
هي النار إلا أنني نلت لذة  
وقضيت أوطاري وإن لام لاثم (١)

وكان أن حبسه سعد .. ثم احتدم القتال الذي انتهى بالنصر للسليين  
ووعده سعد بعدم إقامة الحد فكانت التوبة الصادقة من أبي محجن والتي  
أعلنها في شعره صريحة مدوية .

وقد ذكر أبو الفرج بنصاً من موافقت عمر بن الخطاب مع أبي محجن بسبب الحر وهي تكشف عن الإصرار الذي يتبعه أمير المؤمنين في مقاومة المخالفين للشرعية الإسلامية ، وتكشف أيضاً عن تعلق أبي محجن بالحر إلى الدرجة التي يرى فيها الحد الشرعي تطهيراً من الإثم مع الاستمرار في الشرب (١).

(ب) كان أبو محجن من الشعراء الفرساني والرماة الماهرة ، وقد انعكست شجاعته على شعره فانطلق يغني بحماسة ويشيدو بنضاله ، ولذا جاء أكثر شعره في صورة مقطوعات صغيرة تشبه إلى حد كبير تلك المقطوعات التي كان يتغنى بها فرسان الحوارج من أمثال عمران بن حطان وقطري بن الفجاءة وغيرهما ، فنراه يتحدث عن بسالته (يوم الجسر) بالعراق ، وعن قدرته الحماسية ، وخبرته القتالية يوم المروب من ابن جبراء ، أما بسالته يوم القادسية لحدث عنها ولا حرج ، حتى قيل إنه كان من أسباب النصر في أحد أيام هذه المعركة الفاصلة ، وقد افتخر أبو محجن بجهاده في شعر حماسي وصين .

لأن أكثر ما جاء في الديوان عن القادسية يعبر عن شوقه إلى القتال فيها ، والدفاع عن الإسلام من خلالها ، ولكننا لم نجد في شعره ما يسجل جهاده أثناء القتال كالذي قرأناه عن حماسه يوم الجسر مثلاً ، ويبدو أن أبا محجن بعد النصر في القادسية ، وبعد أن أشاد بإقلاعه عن الحر قد قاطع الشعر أيضاً ، فلم نجد في ديوانه ما يسجل جهاده في بلاد فارس مع أنه قد عاش فترة طويلة (٢) عادة ما تكون خصبة في حياة الشعراء . ثم إنه قد جمع بين الحماسة والفخر للتلازم بين هذين اللونين ، حيث يفتخر

(١) انظر أحد هذه المواقف بالأغاني ج ١٠ ص ١١ ، ١٢ .

(٢) ما بين سبع سنوات إلى أربع عشرة سنة .

الشعراء كثيراً بحماسة في القتال وطعناتهم للأعداء، وفي الآيات الخامسة التي ذكرناها لأبي عجين في الموقف الذي جمع بين معاوية وابنه (عبيد) قال في عقب تلك الآيات :

وقد أجود وما مالى بذى فتع  
وقد أكر وراء الحجر البرق  
وأجبر الفعل ذا حوب ومنقصة  
وأترك القول يذنبى من الرهق (١)

ومكثا يأتى الفخر في شعره مقروناً بالتعبير عن حماسة في القتال وفروسيته أمام الأعداء ، كما يتدح نفسه — في شعر الفخر — بمجيد الصفات وهجر المعاييب ، وبذل العطاء ، كما يفتخر برجال قبيلته الذين استحقوا الحمد ، قال :

عمى الذى أهدى لكسرى جياده  
لدى الباب منها مرسل ووقوف  
عشيه لاقى الترجمان وربيه

فداه فرداً والوفود عكوف (٢)

(ج) إذا كان أبو عجين قد برع في أشعار الخمر والحاسة والفخر فإنه قال شعراً قليلاً في الغزل ، وأورد في ديوانه أسماء ثلاث نساء ، يبدو أن قلبه قد تعلق بين واحدة بعد أخرى ، والأولى هي (شموس) تلك المرأة الأنصارية التي حاول النظر إليها بكل حيلة فلم يقدر عليها ، فاخترع حيلة استطاع بها أن يشاهدها خلسة ، وسبق أن ذكرنا ذلك ، كما تعلق قلبه بأم يوسف ، وهي أخت الحجاج بن يوسف ، وذكرها فقال :

أنى تسدت نحونا أم يوسف ومن دون سرائها فياف مجاهل (٣)

(١) الديوان ص ٢١ ، ٢١ (٢) الديوان ص ٤٤  
(٣) الديوان ص ٣٠



والثالثة هي ابنة الحبر اليهودى ، وذكرها فى أربعة آيات افراد بها الديوان ، على أننا لا نلاحظ فى غزل أبى محجن حرارة العاطفة وصدق الوجدان ، فإن ذكر هذه الأسماء لا يجعل منه شاعراً غزولياً ، كما أن الآيات الوجدانية التى جاءت بديوانه — من الأشعار التى تذكر عادة فى مقام الفخر الغزلى أو التجريب العاطفى .

(د) ولأبى محجن قصيدة فى رثاء أبى عبيد الثقفى من أحد عشر بيتاً وهى أطول ماقاله من قصائد الشعر ، وقد بدأها بالغزل بأم يوسف وسبق أن ذكرنا أكثر آياتها ، وجاء فيها :

إلى فتية بالطف نيلت سراتهم وغودر أفراس لهم ورواحل  
وأضحى أبو جبر خلاه بيوته بما كان يغفوها الضعاف الأراذل  
وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم إلى حامد الآيات جود وتائل  
فهم يتحسر على أبى عبيد وعلى بقية المجاهدين الذين تغيرت الدنيا من  
بعدهم ، وقد تحولت آيات القصيدة من البكاء على من مات إلى الفخر الحماسى  
الذى يغلب على أشعاره .

• لقد نجد المؤرخون فى شخصية أبى محجن الرجل الولوع بالشراب ، وصاحب البلاء الحمن فى القادسية ، حيث تدور أشعاره حول هذين الموضوعين كما قال (بلاشير) فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) ، ورأى أن فى مقطوعاته قيمة استحضارية أصلية للبيئة التى نشأ فيها ، وهنا تكمن ملاح الإجابة لدى هذا الشاعر المتفرد .

• يتميز شعره بالعدوية والرقّة والطلاوة التى أخذ الشعر العربى ينساب نحوها مع المد الإسلامى .

• كما تتضح فى أشعاره حرارة التوبة وصدق الإيمان ، ولذلك فأبو محجن

من أبرز الشعراء في العصر الإسلامي الذين جاءت أشعارهم صورة معبرة عن حيواتهم ، وتنتجلى في شعره مواقفه البطولية وفتوته السامية التي أبرزها مع تقيف على حصن الطائف أولاً ، ثم في معارك المسلمين مع الفرس في العراق ثانياً .

• كما يتميز شعره بأن أكثره قد جاء في صورة مقطوعات صغيرة ، وكأنه ( بلاغات ) عسكرية أو ( قذائف ) إيمانية تشبه الشعر الثامر الذي قرأناه لشعراء الخوارج في مرحلة تالية من العصر الإسلامي .

• أما ما تأخذه على أبي محجن فهو موقفه من الشعر بعد القادسية وبعد أن أعان توبته من شرب الخمر ، فقد سكت عن قول الشعر ، وليس لدينا ما نفسر به هذا السلوك إلا أن يكون الزمن قد جاز على ما قاله في تلك الفترة إن لم يكن قد لزم السكوت في بقية حياته ، ونجد المراجع التاريخية القديمة قد لزمّت الصمت أمام هذا الغياب الشعري في سنوات أبي محجن الأخيرة ولم تقدم تفسيراً واحداً له في حدود المراجع التي اطلعنا عليها .

## الفصل الثاني

محمد بن عبد الله النيرى

شاعر الغزل في ثقيف

٢ — مولده و منشؤه و وفاته :

ذكر صاحب الأعلام نسب شاعرنا في هذا الفصل فقال عنه : « محمد بن عبد الله بن محمد بن خرشة النقي النيرى » (١) ، وقد اقتصر على هذه المجموعة من النسب ، ولم يقل بها إلى ما ذكره أبو الفرج في الأغاني مثلاً . وقد قيل عن النيرى : إنه مولد (٢) ، مع معرفتنا لأصول نسبه من جهة أبيه ، وامتدادها في ثقيف ، وربما كانت أمه غير عربية ، أو أن يكون الحكم عليه بأنه مولد غير صحيح .

نشأ محمد بن نيرى كما ذكرته بعض المراجع ، في الطائف ، ولم يكن يخرج منها إلا ليعود إليها ، وأتم حياته بها ، إلى أن توفي حوالى عام تسعين من الهجرة ، كما جاء في أعلام الزركلى .

ورغم أن النيرى من أهل الطائف ، وهى واحدة فى القرى العربية المتحضرة فى عصره ، إلا أنه لم يحار شعراء المدن العربية الأخرى الذين يالغوا فى الكشف عن مكثون أفتدتهم بصورة حسية ، وربما كان غزله

(١) الأعلام للزركلى ج ٦ ص ٢٢٠

(٢) المولد : من كان أحد أبويه غير عربى

تجريباً — جداً — من شعراء أهل البوادي كما كان الحال في بني عذرة وبني طامر، أي أننا نجد شاعراً حضرياً في حياته، بدوياً في شعره، عزولاً في فنه ومذهبه، كما أنه قصر غزله على واحدة من قنات الطائف، وهي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي التي أحبها وتعلق بها، وهكذا ارتبط النخري في حياته وشعره بمدينة الطائف، وبقبيلة ثقيف.

#### ٢ — القول في زينب بنت يوسف :

طاشت أخت الحجاج متعة مرفهة، تشتم بمكة، وتضطاف بالطائف، وقال محمد بن عبد الله النخري فيها شعراً شدا به المخنون، ورواه أبو الفرج، وما قاله فيها :

تشتم بمكة نعمة ومصيفها بالطائف  
أحب بتلك مواقف وزينب من واقف  
وعوزة لم ينفذها بؤس وجفوة سحائف  
غراء يحكيها الغراء ل بمقلة وسوالف (١)

وقد أحبها ابن نمير، وذكرها في أكثر شعره، وهذا ما أحفظ للحجاج عليه، وكان بينهما من الأحداث ما ذكره التاريخ بأكثر من رواية، ولكن أقدم هذه الروايات ما ذكرها أبو الفرج، فقال : قال مسلم بن جندب الهذلي — وكان قاضي الجماعة بالمدينة — : إني لمع محمد بن عبد الله ابن نمير بنعمان (٢)، وغلّام يسير خلفه يشتمه أقبح الشتمية، فقلت : من

(١) الأغاني ج ٦ ص ٢٥٥.

(٢) نعمان : هو نعمان الأراك، واد يته ويبيت مكة بظفت ليلة.

هذا؟ فقال: «هذا الحجاج بن يوسف دعه فإنى ذكرت أخته فى شعرى» فأحفظه ذلك، (١)، وإذا صحت هذه الرواية فإنها تتقدم بمدة كبيرة على بسط الحجاج يده على الحجاز للولاء الأموى، ويدون ابن نمير كان آمن منه، ولكن مجريات الأمور قد تحولت — فدينا بعد — لصالحه، فانتقل من الحجاز إلى العراق.

أما النخعي فقد قال قصيدة روت أمهات كتب الأدب أكثر أبياتها، وحوسب عليها من عبد الملك بن مروان، ومن الحجاج فى مجموعة من الروايات التى تختلف فيها بينها حول ملايساتها، ولكنها تتفق فى أنها كانت الشرارة الأولى التى أشعلت نار العداوة بين ابن نمير والحجاج وهما من ثقيف. ولعل أوفى ما قيل عن مناسبتها ما رواه الأغانى، قال: «وكان يوسف بن الحكم اعتل علة فطالت عليه، فنذرت زينب إن عوفى أن تمشى إلى البيت (٢)، فعوفى فخرجت فى نسوة، فقطعن بطن وج وهو ثلاثمائة ذراع، فى يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شهر. فبينما هى تسير إذ لقيها إبراهيم ابن عبد الله النخعي أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة. فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلم عليه، فقال له: ألك علم بزينب؟ قال: نعم، لقيتها بالهيا (٣) فى بطن نهمان، فقال: ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً، قال: نعم، قلت بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن ينصب بيننا وبين إخوتنا شر، فقال: محمد هذه القصيدة، وهى أول ما قاله (٤). ولإننا نضك فى صدق الجملة.

(١) الأغانى ج ٦ ص ١٩١.

(٢) المراد: الكعبة.

(٣) الهاء: موضع بنهمان بين مكة والطائف.

(٤) الأغانى ج ٦ ص ١٩٢.

الآخيرة من المقولة السابقة ، فالقصيدة ، التي ذكرها أبو الفرج ، والتي  
 سوف نختار بعض أبياتها لا تدل على أن قائلها شاعر مبتدئ ، وإنما  
 تكشف عن قدرات شاعر متمرس كثر منه الصيال في ساحة القريض .  
 ومن أبياتها قوله :

تضوع سكا بطن نيمان إذ مشى  
 به زينب في نوة عطر  
 وقوله :

يخفين أطراف البنان من التقي  
 ويقتلن بالألحاظ مقتدرات  
 تقسم لي يوم نيمان لاني  
 رأيت فؤادي عارم النظرات (١)  
 جلون وجوها لم تلحها سحائم (٢)  
 حرور ولم يشغن بالسيرات  
 فقلت يعافير الطباء تناولت  
 نباح غصون المرء مهتبرات  
 ولما رأيت ركب الفيرى راعها  
 وكفى من أن يلقينه حذرات  
 فآدين حتى جاود الركب دونها  
 حجابا من القسي (٣) وإليخبرات

(١) عارم النظرات : شارد النظرات  
 (٢) السحائم : جمع سموم وهي ريح حارة أو حر النهار  
 (٣) القسي : حرب من الثياب

فكدت اشتياقاً نحوها وصباة

تقطع نفسى إثره حرمان

فراجعت نفسى والحفيظة بعدما

بالت رداء المصـب (١) بالعبرات (٢)

وقد أشعلت هذه القصيدة ناز الحرب على النيرى ، وغضب لها الحجاج بعد أن سمع بها ، وكان عبد الملك حريصاً على تهدئة ثورته ، فكتب له يقول : « قد بلغنى قول الحبيب فى زينب ، فإله عنه ، وأعرض عن ذكره فإنك إن أدبته أو عاتبته أطمعته وإن عاقبته صدقته » (٣) ويبدو أن هذه الكلمة لم تهدئه من ثورة الحجاج فتوعد النيرى ، وأخبر له العدا ، وقيل إن النيرى قد هرب إلى اليمن — بعد هذه القصيدة — ثم اشتاق إلى موطنه فاستجار أو استغاث بعبد الملك ، وأنشده بعض أربابها . ولكن الحرب إلى اليمن — فيما أظن — لم يكن بعد قوله لهذه القصيدة ، وإنما كان فى أعقاب مواقف أخرى من قصيدة غزلية قالها أيضاً فى زينب ، وروى أبو الفرج حواريين أو مساءلين من الحجاج لآبن تحير لا يختلفان إلا فى بعض التفاصيل البسيطة التى نلاحظها بين رواية وأخرى ، وجاء كل منها بعد قصيدة مختلفة عن الأخرى .

(١) المصـب : ضرب من البرود

(٢) الأغاني ج ٦ ط ١٩٣٤ ، هن ١٩٤٤ ، وراجع الكامل

لمبرد ج ٢ ص ٢٢٧ تحقيق محمد أبى الفضل والسيـد شجاعة طبع دار نهضة مصر .

(٣) الأغاني ج ٦ ص ١٩٤

وكان أبو الفرج قد ذكر هذه التلغية وكتاب عبد الملك إلى الحجاج ،  
وأعقبها بالحديث عن حرب النخيرية واستجارته بعبد الملك ، قال : « وحرب  
النخيرية من الحجاج إلى عبد الملك واستجار به ، فقال له عبد الملك : أنشدني  
ماقلت في زينب فأشده . فلما انتهى إلى قوله :

ولما رأيت ركب النخيري أعرضت  
وكن من أن يلقينه جذرات

فقال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نخيري ؟ قال : أربعة أحرة لي  
كنت أجلب عليهن القطران ، وثلاثة أحرة صحبتي تحمل البعر . فضحك  
عبد الملك حتى استغرب ضحكا ثم قال : لقد عظمت أمرك وأمر ركبك ،  
وكتب له إلى الحجاج أن لا يسيل له عليه .

فلما أتاه بالكتاب وضعه ، ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي سلم ،  
فقال له : أما برى من بيعة أمير المؤمنين ، لأن لم ينشدني ما قال في زينب  
لأتين على نفسه ، ولئن أنشدني لأعفون عنه ، وهو إذا أنشدني آمن ،  
فقال له يزيد : ويلك ! أنشده ، فأشده إلى قوله :

تضوع مسكاً بطن نعلان إذ مشيت

به زينب في نسوة خفرات

فقال : كذبت واقه ، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها ، ثم أنشده  
حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأيت ركب النخيري داعها

وكن من أن يلقينه جذرات

قاله : حتى لما أن تزناح لآلها من نسوة خفرات صالحات ، ثم أنشده  
حتى بلغ إلى قوله :

مردن بفتح داحات عشية يلين للرحمن متمرات



فقال : صدقت ، لقد كانت حياجة صوامة ما علمتها . ثم أنشد حتى يبلغ إلى قوله :

يخمرن أطراف البنان من التقى ويخرجن جنتح الليل معتبرات  
فقال له : صدقت ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرة المسلمة ،  
ثم قال له : ويحك ! إلى أذى أدتياحك أدتياح مريب ، وقولك قول يرى  
بوقد أمنتك ، ولم يمرض له ، (١) .

وبناء على ما تقدم ، ومن خلال بعض الروايات يبقى الاحتمال الثاني  
وهو أن تكون هذه المخاطبة بعد هرب النخيري إلى اليمن واستجارته  
ببند الملك ، أو أن يكون الحجاج قد كلف من آق له به .

وقد وضع لنا من النص السابق البعد النقدي والمدى المعرفي لكل  
من عبد الملك والحجاج ، ووضحت أيضاً عفة الشاعر وشفافيته وابتعاده  
عن حisie الغزل وإباحيته التي غرق فيها بعض الشعراء الحضريين من أمثال  
عمر بن أبي ربيعة .

وكانت زينب قد تزوجت الحكم بن أيوب بن الحكم بن عقيل ،  
وهو شيخ كبير فخرجت معه إلى الشام ، ولما ولي الحجاج العراق  
استعمله على البصرة ، وانتقلت معه زينب ، وبقيت بالبصرة إلى أن قام  
ابن الأشعث بثورته ، فوجهها الحجاج مع حرمة إلى الشام خوفاً  
خليلين ، وبقيت به إلى حين مقتل ابن الأشعث حيث أرسل الحجاج كتاباً  
إلى عبد الملك بالفتح ، وكتب إلى زينب يخبرها بذلك ، وأعطيت  
الكتاب وهي راكبة على بقة في هودج ، فنشترته تفرقه ، فنشرت البقة  
من صوت قمعة الكتاب فسقطت زينب منها ، فاندق عضداها وتبرأ جوفاء ،  
وماتت في ذلك ، وعاد رسول الحجاج حيث أخبره بوفاة أخته .

وقد تأثر النخيري بكل هذه التحولات في حياة حبيبته ، فحزن لرحيلها

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ١٩٤ ، ص ١٩٥

من الطائف مع أنها تزوجت غيره ، وهاجت أساسه ، ودمعت عيناه ،  
لهذا الفراق ، وقال في ذلك شعراً وجدانياً مؤثراً تختار منه قوله :

طربت وشاقتك المنازل من جفن (١)  
ألا ربما يتأكد الشوق بالحنون  
فطرت لي أظعان زينب باللوى  
فأعولتها (٢) لو كان إعوالمها يفتنى  
فواقه لا أنساك زينب مادعت  
مطوقة ورقاء شجراً على غصن  
فإن احتمال الحى يوم تحملوا  
عناك ، وهل يعينك إلا الذى يعنى  
ومرسلة في السر أن قد فضحتنى  
وصرحت باسمى في النسيب فما تكفى  
وأشمت بي أهلى وجل عشيرتى  
لهشك ما تنواه إن كان ذا يهنى  
وقد لامنى فيها ابن عمى ناصحاً  
فقلت له خذ لي فؤادى أو دعنى (٣)

وبلغت هذه الأبيات زينب ، فبكت لها ، وقالت لخادمتها : « أختى  
أن يسمع بقوله هذا جاهل بى لا يعرفنى ، ولا يعلم مذهبي فبراء حقاً » (٤) .  
ولم يتوقف شجوا الفيرى لرحيل زينب على هذه الأبيات ، فقد هاجت

- 
- (١) جفن : اسم واد بالطائف  
(٢) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء .  
(٣) الأغانى ج ٦ ص ١٩٦ (٤) المرجع السابق ج ٦ ص ١٩٦ .

شاعره. لهذا الفراق ، وحنون اليوم الذى تركت فيه الطائف ، فقال :  
أهاجلك الظلمات يوم بانوا      بذى الزى الجليل من الأثاث  
ظلمات أسلكت نقب المنق      تحت إذا ومنت أى احتاث (١)

وقد كان الشاعر شديد الحب ، ولم يبرد عشقه لها وغرامه بها ، حتى  
أن الحجاج تبعه ، وأراد الإيقاع به ، وخشى يوسف بن الحكم ( والد  
الحجاج ) أن يؤذى ابنه الفيرى ، فطلب من عبد الملك ألا يجعل للحجاج  
عليه سيلا إبان حرب الزبير ، واستجاب الخليفة إلى ما طلبه يوسف بن الحكم ،  
وقال للحجاج : « إن محمداً الفيرى جارى ، ولا سلطان لك عليه فلا  
تعرض له » (٢).

ويدو أن الفيرى لم يكف عن التنزل بزنب طوال حياته وقد حزن  
لوفاتها ورثاها بأحر الشعر ، وبكى لموتها فقال :

لزينب طيف تعترى طواره  
هدوا إذا النجم ارجعت لواحقه  
سيبك مرغان العنى يجيبه  
لطيف بنان الكف درم مرافقه  
إذا ما بساط اللبو مد وألقيت  
للذاته أنماطه ونمبارقه (٣)

(١) معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ٢٩٨ وثمر الآداب للحصري ج ١ ص ١٧٤ مع اختلاف في كلمات البيت الثانى .

(٢) الأغاني ج ٦ ص ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ج ٦ ص ٢٠١ .

٣ - مع الحجاج :

نعود إلى ما لحق النخيري بسبب غزوله لزينب ، فقد خاف من تهديد الحجاج ، وهرب إلى اليمن ، وركب بحر عدن ، وقال في هربه :

أتقى من الحجاج والبحر دوننا  
عقارب تهرى والعيون هواجع  
فضقت بها ذروا وأجهشت خيفة  
ولم آمن الحجاج والأمر فاطم  
وحل في الخطب الذي جاءني به  
سميع فليست تستقر الأجالع (١)

إلى آخر القصيدة التي تجمع بين الرغبة في زينب والرهبة من الحجاج والشوق لتقيف وقد ، نقلت كتب الأدب أكثر من موقف جمع بين النخيري والحجاج منها ما كان بعد القصيدة التائية التي قيل إنها أول شعره ، ومنها ما كان بين الرجلين في أعقاب عودة النخيري ، من اليمن ، وكان الحجاج قد طلبه فلم يقدر عليه ، وطال هربه واشتاق إلى وطنه ، فبادر ووقف على الحجاج ، وكان بينهما هذا الحوار الذي بدأه الحجاج فقال : إيه يا نخيري ! أمت القائل :

فإن تلتنى حجاج فاشتف جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول :

أعاف من الحجاج ما لست بجائداً

من الأسد العرباض (٢) لم يثنه ذعر

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ١٩٩ ومجمع البلدان ج ١ ص ١٧٣

(٢) العرباض : الأسد العظيم .

أعاف يديه أن تتال مقاتلي  
بأيض عضب ليس من دونه رستر  
وأنا الذى أقول :

فها أنذا طوفت شرقاً ومغرباً  
وأبت وقد دوخت (١) كل مكان  
فلو كانت المنقاء منك تطير بي  
لخلتلك إلا أن قصد ترائى  
قال : فتبسم الحجاج وأمنه ، وقال له : لا تماود ما تعلم وخلى  
سبيله ، (٢) .

وقد أملى الخوف على النيرى هذا الشعر الذى لم يكن ليصدر منه حياً  
فى الحجاج — وهو من أبناء عجمته — وإنما قاله بسبب حبه لويث ،  
وما جره عليه هذا الحب من المتاعب والآلام ، والتي كان أبرزها العداء  
المستحكم بينه وبين الحجاج ، ولم يقتصر العداء بين الرجلين على هذا الموقف  
الآخر الذى اقترن بهرب النيرى إلى اليمن ، بل امتد لسنوات طويلة ،  
فلك السنوات التى تفتى فيها بحبه لويث منذ أن فتح عينيه على روباها إلى  
أن توارى جسدها فى التراب .

#### ٤ — أغراض شعره :

لقد قال النيرى جل شعره فى الفول الذى يتقارب فى خصائصه مع  
شعر أهل البادية فى العفة والرقّة والسلاسة ، ولذلك لم يعنف — فى كل

---

(١) دوخ فلان البلاد : سار فيها حتى عرفها ، ولم تخف عليه طرقها .  
(٢) الأغاني ج ٦ ص ١٩٩ ، ص ٢٠٠ .

المواقف المتخذة حذره - على ما قاله في زينب ، فقد دافع عنه والجد  
الحجاج ، وتشفع له عبد الملك ، ثم تسامح معه ورضى لقوله الحجاج . ولم  
يتعرض لوصف محبوبته وصفاً حسياً بارزاً ، ولم يقل لأنه التقى معها واجتمع  
بها كما قال امرؤ القيس أو عمر بن أبي ربيعة أو غيرهما فيمن أحبين ، ثم لأنه  
كان غاصاً جداً ووفياً دائماً لزينب ، فقد تقول بها منذ أن كانت قرية منه  
في الطائف ، ولم ينسأ أو يغفل عنها عندما انتقلت إلى الشام أو العراق ...  
وعندما ماتت رثاها ، وبكى لفراقها الأبدى ، مع أنها تزوجت بغيره ،  
وابتعدت عنه ، والام من ذلك كله أنه حورب من أجلها ، وهرب بسببها ،  
ويدو أنه تمادى في عشقه وإخلاصه فلم يتزوج ، ولم ين عش حياته مع  
غيرها ، ولم تذكر لنا المصادر أن له زوجة أو ولداً ، وكأنه يذكرنا بماشق  
الأندلس (ابن زيدون) ، وإن كانت أخت الحجاج لا تذكرنا - أبدأ -  
بولادة بنت المستكفي بالله .

وقد ذكرنا قدراً كبيراً من شعره الغزلي ، ولم يبق من أبرزه وأشهره  
إلا ما نسب له ولغيره ، ولذلك نكتفي بما سبق اختياره .

وعندما ماتت زينب رثاها بآيات تقدم ذكرها ، أما شعره في الحجاج  
فقد جاء بعضه في الخوف منه عندما حلت الخطوب على شاعرنا ، ولم يملك  
إلا الفرار اليمن ، والابتعاد عن مريع صباه ، أما البعض الآخر فقد مدحه  
به ، ومثلنا له أيضاً . وثق كد على أن هذا الشعر الذي اتجه به للدح لم يكن  
إلا تعبيراً عن خوفه من الحجاج أيضاً ، ولذلك لا يحسب في ميزان الشاعر  
قال الشعر الذي تملبه غريزة الخوف ليس له إلا التجاهل والسيان .

ولو صدق (بروكلان) ومن قال بأن التنمير ديواناً غطوطاً لا يمكن  
التعرف على كل المناحي والأغراض المشكلة لموهبة هذا الشاعر ، غير أن

بعض الباحثين (١) قد اهتمت — بالبحث — إلى عدم وجود ديوان له ،  
ولذلك يقتصر في كلامنا على أغراض شعره بما سبق بيانه .

٥ - خصائص شعره :

(١) قدم محمد بن عبد الله النيرى مجموعة من القصائد والمقطوعات  
الشعرية التي جاء أكثرها في لون شعري واحد وهو الغزل ، أى أنه تخصص  
في هذا اللون ، وأجاد فيه ، وعاش كل تجربة شعرية استلهمها في فنه ، ولم  
يعزف إلا على وتر واحد هو الشعر الغزلي ، وليس له إلا معشوقة واحدة  
هي زينب بنت يوسف ، وهي شخصية حقيقية تواجدت في عالم الواقع  
فضلا عما بينهما من قرابة ، وكانت هذه القرابة سبباً من أسباب التزام النيرى  
بالأصول والأعراف التي تفرضها المبادئ القبلية — ولم يكن من اللائق —  
في ظل ذلك ، ومن واقع البيئة الإسلامية التي يلتزم بها — أن يشهر بأبنة  
عمه ، وأن يطعن كرامتها وكبريائها ، خاصة وأنها من النساء الفضليات التي  
تصح وتعتز ، وتقى بالندى ، وتلتزم بتعاليم الدين .

(ب) وأهم ما يميز به شعر النيرى هو الصدق الفقي ، وتصوير الواقع ،  
والارتباط بالبيئة ، وقد تجلّى ذلك في كل شعره ، وهو يؤكد هذه الخاصية ،  
كما يؤكد ما سبقها : روى أبو الفرج ذلك فقال : « لما تأممت عائشة بنت  
طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مال لها عظيم  
بالطائف وقصر لها هناك فتنزه فيه ، وتجلس بالعشيات ، فيتناجل بين  
يديها الرماة ، فرمى النيرى الشاعر ، فسألت عنه فغضب لها فقالت :  
أتتوى به ، فأثومها به . »

فقال له : أفصدي بما قلت ، في زينب ، فلم تنع عليها وقال : تلك أمة

(١) هو الأستاذ عصمة بن عبد الله نور الصواط الذي جمع شعر  
النيرى في فصل من كتابه ( شعره نقيف في العصر الأموي ) طبع نادي  
الطائفة الأدبي — أنظر ص ٩٠ من الكتاب المذكور .

صمى وقد صارت عظماً بالية . قالت : أقسمت عليك بالله إلا فعلت به  
فأنشد ما قوله :

• تضرع مسكاً بطن نعيان أن مشيت •

الآيات . قالت : والله ما قلت إلا جيلاً ، ولا ذكرت إلا كرماء  
وطيباً ، ولا وصفت إلا ديناً وتقى ، أعطوه ألف درهم . فلما كانت الجمعة  
الأخرى تعرض لها : فقالت : عمر بن فاحضر . فقالت له أنشدني من  
شعرك في زينب ، فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك ؟  
فوثب موالها إليه ، فقالت : دعوه فإنه أراد أن يستفيد لينت صمه وهما  
عما قال الحارث في ، فأنشد ما :

ظمن الأمير بأحسن الخلق وغدوا بلبك مطلع الشرق

فقالت : والله : ما ذكر إلا جيلاً ، ذكر أنى إذا صبحت زوجاً  
يوجهي غدا بكواكب الطاق ، وأنى غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق ،  
وأنى أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع أعطوه ألف درهم واكسوه  
حلتين ، ولا تعد لآتيانا بعد هذا : أنميري ، (١) .

كما تأكد ارتباط الشاعر ببيئته من ذكر بعض مواضعها في شعره ،  
وأنة لما تركها وذهب إلى اليمن لم يلبث أن اشتاق لها وعاد إليها مع احتمال  
تعرضه للأهانة والأذى .

(ج) تتجلى التعالم الإسلامية في غزل ابن نمير ، فلم يخرج على البيئته  
الدينية في ذلك الوقت بما يلوث سمعته الأدبية ، ولذلك أشاد به ويشمره  
سعيد بن المسيب ، وقال بعد أن سمع شيئاً له : « هذا والله مما يلد  
استماعه » (٢) ، وجاء إنسان إلى ابن سيرين يسأله عن شيء من الشعر قبل

(١) الأغاني ج ٦ ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ وراجع نهاية الأرب ج ٤ ص ٢٧٩ ،  
وكذلك ص ٢٨٠

(٢) زهر الأداب ج ١ ص ١٧٤ ، والأغاني ج ٦ ص ٢٠٣



صلاة العصر ، فأشده بيتين لابن نمير ، وقام إلى الصلاة ، وإن أكثر ما تتجلى هذه التعاليم في النامية التي قيل إنها أول مقاله من الشعر .

(د) اعتنق النيرى مذهباً غولياً لم يكن شائعاً في بيئة الحجاز (المتحضرة) ومنها الطائف ، وهي إحدى القرى الواقعة فيها ، وكان هذا المذهب جديداً أو متفرداً على الحياة الأدبية في ذلك الوقت ، ويبدو أن الشاعر قد سابع مذهب شعراء البوادي ، وإن اختلف الدافع لديه عنهم ، فإن التقاليد العربية والأعراف الإسلامية هي التي أملت عليه سلوكه ومذهبه في الشعر والحياة .

(و) انعكس الاتجاه الغزلي عند ابن نمير على ألفاظه وقاموسه الشعرى بجملة مفرداته سلسلة لينة وقيمة ، كما أن شعره من هذه الناحية يتوافق مع أشعار الخواضر العربية ، أما معانيه فلا تبعد كثيراً عن المعاني التي تجسدت أو تواردت في بني عامر أو بني عذرة أو في غيرهما من قبائل البادية . وإن اختلفت الدوافع التي سبقت الإشارة إليها .

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

يزيد بن الحكم

شاعر ثقيف في الإسلام

### ١ - تحقيق نسيه وشاعريته :

ذكر أبو العلاء المعري بيتين في رسالة الغفران ليزيد بن الحكم ، وأولها :

قلبت ككفلاً كان شرك كله  
ونجورك عنى ما ارتوى الملاء موثرى

وثانيهما :

تبدل خليلاني ، كشكلك شكله  
فاني خليلاً صانلاً بك مقتوى

وقد أوردتهما لتحقيق ضبط كلمة (الماء) في البيت الأول وكلمة (مقتوى) في البيت الثاني. وجاء البيتان في قصيدة هذا الشاعر (يزيد بن الحكم بن أبي العاصر الثقفي) تلك القصيدة الواوية التي جاءت في الآمال والأغاني وحساسة البعيرى وخزانة الأدب ، ولكن شيخ الممرة قد ذكر اسم يزيد قبل إيراد البيتين فقال : إنه يزيد بن الحكم السكلافي (١).

(١) رسالة الغفران للعاصر الفيلسوف أبي العلاء المعري ص ٧٦ =  
(٨ - شعرا)

وقد أخطأ أو تعمد الخطأ في ذلك حيث ذكر الاسم بهذه الكيفية، وقرنه بشعر ليزيد بن الحكم الثقفى، ولم تنتبه بنت الشاطئ. — خطأ هذه النسبة. أما الأستاذ كامل كيلانى فكان خطأه أكبر حيث ذكر الاسم كما قال المعرى (يزيد بن الحكم السكلاي) ثم عرّفه فقال إنه: يزيد ابن الحكم الثقفى، شاعر جاهلى، من بنى كلاب بن ربيعة بن صعصعة، (١) ثم ذكر شعراً ليزيد ابن الحكم الثقفى، وقال عنه إنه شاعر جاهلى مع أن صاحب الأغاني ذكر أن عمه أسلم في فتح الطائف، أما هو فقد عرضت عليه ولاية فارس في زمن الحجاج، وهكذا أخطأ المعرى أو تعمد ذلك، وأخطأ كامل كيلانى، ولم تنتبه بنت الشاطئ. إلى تصحيح الخطأ تصحيحاً كاملاً.

وقد غاب عنهم أن (يزيد بن الحكم السكلاي) شخص ذكر له أبو تمام شعراً في الحماسة (٢) و (يزيد بن الحكم الثقفى) شاعر ثقيف وهو موضوع حديثنا، وذكر المعرى اسم الأول ونسب إليه شعر الثاني، وقال كامل كيلانى عن الأول بأنه شاعر جاهلى، وأضاف إليه شعر الثاني.

وقد وضع لدينا — الآن — أن صحة الاسم المترجم له معنا هو (يزيد ابن الحكم الثقفى)، وأن الشعر الوارد في المصادر المذكورة هو شعره سواء ما ذكره المعرى أو ما ذكره كامل كيلانى أو ما ذكرته الكتب الأخرى ذلك الشعر الذى قال عنه الأستاذ كامل كيلانى في حواشيه الممتازة على

== تحقيق كامل كيلانى — طبع ونشر مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ورسالة الغفران تحقيق عائشة عبد الرحمن ص ٢٤٥ — دار المعارف. الطبعة السابعة عام ١٩٨١ م.

- (١) رسالة الغفران تحقيق كامل كيلانى ص ٧٦  
(٢) انظر حماسة أبي تمام ج ١ ص ٢٣١ شرح المرزوقى (طامش ١).

رسالة النفران. إن هذا الشاعر (يزيد بن الحكم الثقفى) أول من شرح النفوس وحللها تحليلًا نفسيًا ، لأنه تحدث عن حقد ابن عم له ، وكيف كان يضطك أمامه في الظاهر ، ويضمير الكراهية له في الباطن ، فهذه الصورة من صور النفاق أبدع الشاعر (يزيد) في كشفها من عالم الدم واللحم إلى عالم الواقع والعيان .

ويقول الأستاذ كامل عن هذه القصيدة : «وهى من أجل الشعر العربى وأجوده وأدقه فى شرح النفوس وتحليلها مع براعة الأداء وقوة الشاعرية» (١) ، وقد تحدث فيها يزيد بن الحكم الثقفى إلى ابن عمه فقال (٢) :

تكاشرنى كرهاً كأنك ناصح  
وعينك تبدى أن صدرك لى دوى  
لسانك ماذى وغيبك علقم  
وشرك مبسوط ، وخيرك منطوى  
فليت كفافا كان خيرك كله  
وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى  
عدوك يخشى صولتى — إن لقيته  
وأنت عدوى ، ليس ذاك بمستوى  
تصافح من لاقيت لى ذا عداوة  
صفاحا ، وغى بين عينيك منزوى (٣)

- (١) رسالة النفران — تحقيق كامل كيلانى ص ٧٧  
(٢) ليزيد عدة قصائد يعاتب فيها أعمامه (عبد ربه بن الحكم) وابن عمه (عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص)  
(٣) رسالة النفران ص ٧٧ وأمالى القالى ص ١٥ ص ٩٦ ، ص ٩٧ —  
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ م وغيره.

ولم تسلم هذه القصيدة التي أبدى كامل كيلاني إعجابه بها - لم تسلم  
ليزيد ، فقد روى صاحب الأغاني أن أبا عبيدة : وقال : أنشدني  
أبو الزعراء - رجل من بني قيس بن ثعلبة - لطرفة بن العبد :

تكاشرني كرها كأنك ناصح

وعينيك تبتدي أن صدرك لي جوى

قال ( أبو عبيدة ) فعميت من ذلك ، وأنشدته أبا عمرو بن العلاء .  
وقلت له : إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأثبده لي أبو الزعراء  
لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إن أبا الزعراء في سنن يزيد  
ابن الحكم ، ويزيد مولد مجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء  
صادقا ، (١) .

وقد كذب أبو الفرج رواية أبي الزعراء ، لأن العلماء من رواة الشعر  
رووا القصيدة السابقة ليزيد بن الحكم ، وأن هذا الشعر لا يشبه شعر  
طرفة ، وهو يزيد أشبه ، كما أن له في هذا المعنى عدة قصائد استدل  
أبو الفرج بأجزاء منها على ما قال .

ويكنى يزيد أبا عماله (٢) ، أما أمه فهي بكرة بنت الزبرقان بن بدر ،  
وكانت أول عريسة ركبت البحر ، فأخرج بها الحكم وهو بنو ج (٣) .  
في فارس .

وقد ضنت الكتب والمراجع القديمة بالتفاصيل الحياتية ليزيد بن الحكم .

(١) الأغاني - ١٢ ص ٢٩٤ .

(٢) سبط اللؤلؤ - ١٥ ص ٢٣٨ - دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع .  
بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ( ١٩٨٤ م ) .

(٣) انظر الأغاني - ١٢ ص ٢٨٧ .

فلم يتكشف لنا عن رحلته الاجتماعية مع الزوجة أو الأولاد، ولذا لم نعرف مراحل نشأته أو مدة إقامته في البصرة أو الطائف، أو غيرهما من المواضع الإسلامية، ولم نعرف له إلا ثلاثة أبناء ذكرتهم المصادر القديمة من خلال حديثها عن شعره، كما لا نعرف الحجة التي استند عليها الزركلي في بيان العام الذي حددته لوفاته وهو مائة وخمسة من الهجرة، أما قوله عنه بأنه «شاعر عالي الطبقة من أعيان العصر الأموي» (١) فهي عبارة (هلامية) تفوق المستوى المحدود الذي قبح فيه شاعر تقيف، ولا ترقى به إلى مستوى شعراء الطبقة الأولى أو الثانية مع الاعتراض على وضع الشعراء في قوائمهم أو طبقاتهم.

ولكن ذلك لا يتفق تميز يزيد وعزة نفسه، وإرضاه لقساوة السلطة في القرن الأول الهجري، وله في ذلك عدة مواقف تؤكد — في مجموعها — قوة سريان الدم العربي في عروقه وعدم خوفه من الخجاج، وتجاوبه مع ثورة يزيد بن المهلب حيث كتب إليه بعد أن خلع يزيد ابن عبد الملك:

أبا خالد، قد هجت حرباً مريرة  
وقد شمرت حرب عوان فشمر  
فإن بني مروان قد زال ملكتكم  
وإن كنت لم تشمر بذلك فاشمر  
ومت ما جدأ، أو عش كريماً فإن تمت  
وسيفك مشهور بكفك تعذر (٢)

(١) الأعلام ٨ ص ١٨١

(٢) المرجع السابق ٨ ص ١٨١

وليزيد باع طويل في الحكمة، وله قصيدة، منها هذا البيت المشهور:

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وقد ذكر أبو الفرج عدة مواقف بين يزيد بن الحكم والحجاج  
ابن يوسف تمخضت أحداثها عن ثقة يزيد بنفسه، واعتداده بقومه،  
ورفضه لسلطان القوة الذي تذرعه به الحجاج، مع أن الرجلين من أبناء  
الطائف، ومن قبيلة ثقيف، ويدعيان بالولاء لبني أمية، أما الموقف الأول  
فقد أنشد فيه يزيد ثلاثة نماذج شعرية في الفخر والجهاء والمدح، حيث افتخر  
بنفسه، وهجا الحجاج، وامتح سليمان بن عبد الملك، وروى أبو الفرج  
ذلك عن الحوامي فقال: «دعا الحجاج بن يوسف يزيد بن الحكم الثقفي  
فولاه كوة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودعه قال له  
الحجاج: أنشدني بعض شعرك، وإنما أراد أن ينشد مديحاً له، فأنشدته  
قصيدة يفخر فيها ويقول:

وأي الذي سلب ابن كسرى راية

يضاً. تحقق كالعقاب الطائر

فلما سمع الحجاج نغمة نهض مغضباً، فخرج يزيد من غير أن يودعه،  
فقال الحجاج لحاجبه: ارجع منه العهد، فإذا رده فقل له: أيها خير لك،  
ما ورثك أبوك أم هذا؟ فرد على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورثت جدى مجده وفعله

وورثت جسدك أعزاً بالطائف

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته  
فقال أولها:

أسمى بأسماء هذا القلب ميمودا (١)  
إذا أقول صها يتشاده عيدا ..

ويقول فيها :

سميت باسم أمرى. أشبهت شيمته  
عدلا وفضلا سليمان بن داودا  
أحمد به في الورى الماضين من ملك  
وأنت أصبحت في الباقيين ميمودا  
لا يبرأ الناس من أن يحمدا ملكاً  
أولادهم في الأمور الحلم والجودا  
فقال له سليمان : وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً.  
قال : قهى لك على ما دمت حيا (٢).

وتتأكد جرأة يزيد مسح الحجاج في موقف ثان رواء أيضاً  
صاحب الأغاني، حيث قال الحجاج : «صدق - واقه - زهير بن أبي سلمى  
حيث يقول :

وما العفو إلا لامرى. ذى حفيظة  
متى يعف عن ذنب أمرى. السوء يلجج  
فقال له يزيد بن الحكم : أصلح الله الأمير ، إنى قد وثقت ابن عيسى  
ببيت ، إنه لشبيه بهذا . قال : وما هو ؟ قال : قلت :  
ويأمن ذو حلم العشرة جهلة عليه ، ويخشى جهله جهلاؤها

(١) ميمود : هذه العشق .

(٢) الأغاني ١٢ ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨



قال : فما منكم أن تقول إني هذا المحدث ابن تربيته ؟ فقال : إن  
ثاني - والله - كان أحب إلي من ابنك (١).

وانقل لنا التاريخ النقدي عدة مواقف تجلي فيها الإعجاب من بعض  
مشاهير الشعراء والأعيان لشعر يزيد ، فقد ذكر أبو الفرج ما روى  
عن عبد الملك بن مروان أنه قال :

« كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقليل  
له من يعنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن  
الحكم حيث يقول :

فما منك الشباب ولست منه      إذا سألتك لحيتك الخضابا  
عقائل من عقائل أهل نجد      ومسك لم يعقلن الركابا  
ولم يطردن أبقع يوم ظمن      ولا كلباً طردن ولا كلابا  
وقال شاعرهم في الجاهلية :

والشيب إن يظهر فإن وراءه      عمراً يكون خلاله متنفس  
لم ينتقص مني المشيب قلامةً      ولما بقي مني ألب وأكيس (٢)

ولسوف تكشف السطور التالية بما تحمل من نغز وحكمة ومدح  
وغيرها عن أخصية يزيد في إمارته للشعر في ثقيف إبان العصر  
الإسلامي .

(١) المرجع السابق ١٢ ص ٢٧٩

(٢) المرجع السابق ١٢ ص ٢٩٠ (لم يحدد عبد الملك أبو الفرج  
شاعر ثقيف في الجاهلية كما أن الضر المذکور ليس لامية بن أبي العليل) .

وذكر أبو القرج: موقفاً ثانياً آخر فيه الفوز دق: على يزيد بن الحكم  
الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال: ومن هذا الذي ينشد شعراً كأنه  
من أشعارنا؟ فقالوا: يزيد بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بأنه أن عمى  
بولده (١)، ولعله يقصد أن شعر يزيد في منزلة شعره، ولا يختلف عنه.

وجاء في الأغاني موقف آخر الثقفي فيه جرير بن عطية (الشاعر  
المعروف) بالعباس بن يزيد بن الحكم في مسجد النجاة، وسأله جرير عن  
نفسه، وأجاب العباس بأنه رجل من ثقيف، وتواصل الحديث بينهما،  
واتضحت فيه معرفة جرير بأشعار يزيد، ثم ترحم عليه، وأنزل العباس  
بكيتين حتى قال أهل النجاة ما نزل أحداً قبلك قط (٢).

ولعل في هذه المواقف على اختلاف منازعها ما يكشف عن شخصية  
يزيد سواء من ناحية أخلاقه بما فيها من سمو وكبرياء وعزة نفس، أو من  
ناحية أشعاره المتفردة التي تتميز بالصدق وجرالة الألفاظ وتفرد المعاني  
وعمق الأفكار، رغم أن النماذج التي بين أيدينا لهذا الشاعر قليلة  
ولا تجعل منه شاعراً من لحول الشعراء.

#### ٢ - أغراضه الشعرية:

تنوعت الأغراض الشعرية فليأخذنا لثمة من شعر يزيد بن الحكم،  
وقد هتف بكثرة الألوان التي عرفها القماماء، وإن لم يتعمق محققوه  
الشعري في أن يحسد الأبعاد الفلسفية لأكثر الأغراض المطروقة،  
وتميز بقلة شعره في الفنون المشهورة التي تلج إليها غالبية الشعراء، مثل

(١) المرجع السابق ١٢٣ ص ٢٨٧

(٢) أنظر المرجع السابق، ١٢٣ ص ٢٩٢.

المدح والنزل والمجاء، وغلبت عليه أشعار الوعظ والنصح والتوجيه.  
والعتاب، وهي ألوان غير تقليدية لم يمنح إليها غير الحكماء وفلاسفة  
الشعراء. وافتتح ملف شعره لتجد قصيدة من أخلد قصائده - ذكرها:  
أبو تمام في حماسة - يعظ الشاعر فيها ابنه (بدر) ويوجهه إلى الصفات  
الحيدة، ويحذره من الدنايا والعيوب، وقد تحدث إليه فقال:

يا بدر والأمانال يظربها لذي اللب الحكيم  
دم للتخليل بوده ما خير ود لا يدوم  
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم  
واعلم بأن الضيف يو ما سوف يحمد أو يلوم  
والناس مبتليان محود البناية أو ذميم  
واعلم بني، فإنه بالعلم ينتفع العليم  
إن الأمور دقيقة بما يهيج له العظيم (١)

ويلاحظ أن أشعار الوعظ والنصح والتوجيه تتميز بخفة الأوزان  
وسهولة الألفاظ ووضوح المعاني وبساطة الأفكار حتى يسهل تناولها  
للكثيرين. وتجد ابن الحكم يغلف نصحه وتوجيهه (غالباً) بأبيات  
الحكمة التي تعبر عن تجاربه في الحياة، أو يقدم أبياتاً متتالية في مقطوعة  
واحدة كقوله:

وأيت سخي النفس يأتيه وزقه  
هنيئاً ولا يعطى على الحرص جامع

(١) شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٣ ص ١١٩٠ وما بعدها.

وكل حريص أن يحاوي رزقه  
وكم من موفى رزقه وهو وادع(١)

وتتد الحكمة إلى سائر الأغراض الأخرى فنراها في شعر الفخر  
والمديح والتسبيح وغيرها، كما تجمعت قدراته البيانية في صوغ خمسة  
آيات أوردتها مصادر الأدب، يذكرها صاحب كتاب (شعراء ثقيف)  
مخرجة ومنسوبة إلى يزيد بن الحكم، ومنها بيت مشهور سبق ذكره،  
وهي تؤكد قدرة هذا الشاعر في صوغ آيات الحكمة، قال:

ترى المرء يخشى بعض مالا يضره  
ويأمل شيئاً دونه الموت واقع  
وما المال والأهلون إلا ودائع  
ولا بد يوماً أن ترد الودائع  
فكل أمانى امرئ لا ينالها  
كأضغاث أحلام يراهم هاجم  
وفي اليأس من بعد المطالع راحة  
ويأرب خير أدركه المطامع  
أبى الشيب والإسلام أن أتبع الهوى  
وفي الشيب والإسلام للبر وازع(٢)

(١) نهاية الأرب للثوري - ٣ ص ٣٧٧ (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب).

(٢) انظر الآيات في كتاب (شعراء ثقيف) لميعة الصواط ص ٢٠٢-٢٠٣.

وتعجل في هذه الآيات توجهات (يزيد) الإسلامية سواء من ناحية الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم ، أو من ناحية المعاني التي حُضرت عليها ديننا الحنيف .

ونرى هذا الشاعر لم يكن يمدح رغبة في التكسب كما هو الحال عند أكثر الشعراء ، وإنما كان يمدح عن حب ، واقتناع لمن يتوجه إليه بالمدح ، فقد أحب سليمان بن عبد الملك الذي اُمتنق به بعد أن خرج مضطراً من عند الحجاج ، وقال لسليمان :

سميت باسم امرئ أشبهت شيمته  
عدلاً وقضلاً سليمان بن داود  
أحمد به في الودى الماضين من ملك  
وأنت أصبحت في الباقين محموداً  
لا يبرأ الناس من أن يحمداً ملكاً  
أولاهم في الأمور الحلم والجود (١)

وقد تفق المقتنون بأول القصيدة التي منها الآيات السابقة لمعولتها ، وخفة وزنها ، واشتغالها على النسيب الملائم للفناء .

وذكر أبو الفرج سنة آيات (كل ثلاثة في مقطوعة) امتدح بها شاعرنا (يزيد) يزيد بن المهلب ، وكل واحدة من المقطوعتين تتعلق بموقف جمع يزيد بن ، وجاءت الآيات الثلاثة الأولى في مدح يزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك ، وتقدم ذكرها ، أما الثلاثة الأخرى فقد هتف بها يزيد بن الحكم بعد أن دخل على عمه (يزيد بن المهلب) في سجن الحجاج ، وكان يعذب ، فقال له :

(١) الأغاني ١٢ ص ٢٨٨

أصبح في قهقهة السباحة والجو د ، وفضل الصلاح والحسب .  
لا يطر إن تنابت نعم وصابر في البلاء محتسب  
برزت الجياد في مهل وقصرت دون سبك العرب (١)

ولا شك في أن الجهر بهذا المدح داخل السجن جرأة تحسب لابن  
الحكم الذي لم يخف في أن يمدح رجلاً خارجاً على بني أمية وخصماً للحجاج ،  
ثم إن شعره اشتمل على وصف ابن المهلب بالسباحة والجود والصلاح  
والحسب والصبر والشجاعة ، وقد ختمها بهذا التذييل الذي جعل فيه المدح  
مفضلاً على تاتر العرب .

وليزيد بن الحكم شعر عاتب فيه أعياه عبد ربه بن الحكم البقي وبداه  
بقوله :

أخى يسر لي الشحناء يضمرها

بحق وري جوفه من غيرة الداء (٢)

كما عاتب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص بقصيدة مطولة  
ذكرنا منها أبياتاً في أول هذا الفصل ، وهو يكشف لذين الرجلين  
— فنيا اختلناه له — عن نفس محبة تقية تتخلق بمبادئ الإسلام ،  
وترفض الشحناء والكرازية .

أما الفخر فقد سائر فيه شعره الطائفة ، وبخاصة من كان فيهم حق عقيد .  
وهو إما أن يفتخر بنفسه ، ويمدد آثاره ، وإما أن يفتخر بقبيلته ،  
ويشيد بأسلافه على عادة الجاهليين ، وسبيين أيد بنا — فسر به مقطوعان  
في الفخر رواء الزجاجي في أماليه الصغرى ، وذكرهما فقال : « ورد يزيد

(١) الأغانى ١٢ ص ٢٩١

(٢) المرجع السابق ١٢ ص ٢٩٥

ابن الحكم الثقفى من الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق، وكان شريفاً شاعراً، فولاه الحجاج فارس، فلما جاء لأخذ عهده قال له: يا يزيد، أنشدنا من شعرك — يريد أن ينشده مديحاً له — فأنشده:

من يك سائلاً عني فإني أنا ابن الصيد من سلقى زعيف  
وفي وسط البطاح محل يتي محل الليث من وسط الغريف  
وفي كعب، ومن كالحى كعب حلت ذؤابة الجبل المنيف  
جويت نغارها غوراً ونجداً وذلك منتهى شرف الشريف  
نما في كل أصيد لا ضعيف بحمل المعضلات ولا عنيف

فوجم الحجاج، وأطرق سبابة، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله، أحده وأشكره، إذ لم يأت علينا زمان إلا وفينا أشعر العرب.

ثم قال: أنشدنا يا يزيد، فأنشأ يقول:

وأى الذى فتح البلاد بسيفه فأذلها لبنى الزمان الفاجر  
وأى الذى سلب ابن كسرى راية  
في الملك تخفق كالعقاب السكاسر  
وإذا غرت غرت غير مكذب نغراً أدق به نغار الفاخر.

فقام الحجاج مغضباً، ودخل القصر، وانصرف يزيد والعهد في يده، فقال الحجاج لخادمه: اتبعه وقل له: أردد علينا عهدنا، فإذا أخذته فقل له: هل ورتك أبوك مثل هذا العهد؟ فعمل الخادم وأبلغه الرسالة، فرد عليه العهد فقال: قل للحجاج: أورتني أبى مجده وفعله، وأورتك أبوك أعزاً ترجاه (١).

(١) أمالى الزجاجي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ص ٢١٩، ص ٢٢٠، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر عام ١٣٨٢ هـ الطبعة الأولى.

وتزيد حرارة هذا الفخر بمواجهة الحجاج به ، خاصة وأن أبا الفرج  
أورد رواية لهذا الموقف ، وبهيت يهجو يزيد فيه الحجاج هجاء مرأ لا ذعاً .  
وسبق ذكره .

وقد تقول شاعرنا بجمالية مغنية في خبر طويل ذكره صاحب الأغاني ،  
وشك فيه حيث قال : « وأنحسب أن هذا الخبر مصنوع » (١) ، إذ لا يكتفى  
أبو الفرج برواية الأخبار بل يتفحصها ، ويدقق فيها . ويبدى رأيه في  
مصادقها .

ووصف يزيد جارية فقال :

تشكو إذا ما مشيت بالدعص أنحصها

كأن ظهر النفاق لها ظلف (٢)

كما استهل شعره في مدح سليمان بن عبد الملك بمقدمة غزلية هام فيها  
قلبه بمحبوبة تسمى ( أسماء ) ، وقد ذكر أبو الفرج في هذا المطلع أربعة  
آيات أولها :

أسمى بأسماء هذا القلب معمودا

إذا أقول صحا يعتاده عيدا (٣)

ولكن ابن الحكم لم يكن من الشعراء الذين أطالوا القول في النسب ،  
ولم ينقل عنه أنه قال قصيدة غزلية طويلة يكشف فيها عن مكتون نفسه ،  
أو يصور بها تجربة عاطفية مر بها في حياته .

(١) الأغاني - ١٢ ص ٢٩٣ .

(٢) اللسان ( مادة ظلف ) - ٤ ص ٢٧٥٢ .

(٣) الأغاني - ١٢ ص ٢٨٨ .



والم تكن هذه الأغراض الشعرية هي كل ما ملح به ، فقد رثى ابنه  
( عتيس ) وبكاه ، شعر حزين ، وقد ذكر المحافظ ثلاثة أبيات تحدث فيها  
يزيد عن يوم السقيفة (١) ، كما أن له أشعاراً تدرج في شعر الوصف ،  
وله بعض الأبيات التي قالها في مناسبات متعددة .

وكان يزيد معتزلاً في نفسه ، وبدحه بقويا ، في حياته ووعظه ، وقد  
لخصف بالجرأة والشجاعة والنقة بالنفس ومجاورة المخاطر ، وكان واحداً  
من الشعراء المنفردين في العصر الأموي ، وهو أبرز الشعراء للذين يمثلون  
قبيلة ثقيف في القرن الأول الهجري .

---

(١) انظر البيان والتبيين ٣ ص ٣٦٢ (تحقيق عبد السلام هارون) ،  
طبع الطائفي .

## الفصل الرابع

### العرجي

الشاعر النولي في مكة والطائف

#### ١ - بين مكة والطائف :

ذكر النقاد وأكثر كتاب التاريخ عبدالله بن عمر والمعروف بالعرجي من شعراء مكة . . لكنه عاش أكثر عمره بالطائف ، ولم يرجع إلى مكة إلا بعد أن تحطمت آماله على صخور بني أمية الذين حالوا بينه وبين ما كان يسعى إليه ، مع أنه من حفدة عثمان بن عفان ذلك الخليفة الذي حمل الأمويون قيضه ، ونادوا بدمه ، ولكن رغبتهم في الحكم كانت تفوق — بكثير — ما كان يطمح إليه أبناء الصحابة والتابعين في الحجاز ، وقد خدمنا العرجي — وهو قرشي — إلى شعراء الطائف حيث كانت أملاكه بها ، ولا يكاد يفارقها ، كما لا يخفى هذا اللقب الذي اشتهر به وهو العرجي نسبة إلى العرج ، وهي قرية جامة في واد من نواحي الطائف ، (١) .

وقد طغى اللقب على اسمه الذي غفل الناس عنه وهو عبدالله بن عمر ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، . . (٢) كما جاء في الأغاني وأكثر المصادر التي تحدثت عنه وترجمت له ، أما نسبة من جهة أمه فقليل من ذكره أو تحدث عنه ، وأورده أبو الفرج فقال : « وأم العرجي أمية بنت عمر بن عثمان »

(١) معجم البلدان لياقوت ، ج ٤ ص ٩٨ .

(٢) الأغاني ، ج ١ ص ٢٨٣ .

وقال إسحاق : سعيد بن عثمان ، وهى لأم ولد (١) ، ويكنى بأبى عمرو .  
ولن لم يعرف بذلك .

وهو من شعراء الغزل المدودين بالحجاز ، وله في ذلك مذهب ينحدر  
فيه منحى حمز بن أبي ربيعة ، أما ما جاء في الشعر والشعراء من أنه  
« أشعر بنى أمية » (٢) فهو مبالغة مكشوفة من ابن قتيبة سقط فيها بقله ،  
أو أوقعه فيها الراوة والنسaxon .

عاش العرجى سنوات عمره وكأنها حياتان ، لما بين كل حياة أو مرحلة  
من تباين شديد واختلاف ظاهر ، وانعكس ذلك على سلوكه وشعره  
كما سوف نرى . ومن الملاحظ أن المرحلة الأولى هي حياة الكرم والشجاعة  
والقروسية والحب والغزل والمجون ، وقد قضى أكثر سنواتها في قرية العرج  
بالطائف ، أما المرحلة الثانية فهي حياة المحسومة مع والى مكة وما أعقبها  
من سنوات السجن التي تعذب فيها أيماناً مذهب ، إلى أن توفى بمحبسه ، وعاش  
أكثر سنوات هذه الفترة بمكة المكرمة .

#### ٢ - حياته الأولى :

اتخذ العرجى من أملاكه في الطائف عوناً له على ممارسة الهوى والعبد  
حيث كان حريصاً عليهما ، قليل الخاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له تباهة  
في أهله ، وشجوه ذلك على الحياة في الطائف والاستقرار فيها ، وكان  
أشقر ، أزرق ، جميل الوجه ، وذكر أبو الفرج بعض صفاته بالرواية  
عن الآخرين ، فقال : « كان أزرق كوسج (٣) نأى الخنجر ، وكان

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٥ .

(٢) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٧٨ .

(٣) الكوسج : الأنط وهو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر

الأمم .

صاحب غول وقتوة، وكان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج، فقيل له العرجي، ونسب إلى ماله، وكان من الفرسان المعدودين مع مسيلة ابن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة (١)، وكان له ساعط يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية فيكأيت دوابهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها، وأظن أن ذلك لم يكن عن بخل أو شح منه، وإنما لما كان بينه وبين أصحابها من عداوة وشكاية، وهو من أفرس الناس وأبرام لهم، وربما يرى مائة سهم من الرمان وقتل بها مائة ناقة من إبل بني نصر من غير أن يتوانى عن فعل ذلك.

وكان غنياً كأكثر القرشيين الذين امتلكوا إقطاعات في الطائف، وانعكس ذلك على مظهره وسلوكه، فكان يستقي على إبله في شملتين (٢) ثم يقتسل ويلبس حلتين بخمسة دنانير ويقول:

يوماً لأصحابي ويوماً للسل مدرة يوماً ويوماً سربال (٣)

وكان غازياً فأصيب الناس بمجاعة فإذن للتجار أن يصرفوا الناس على حسابهم — فبلغ ذلك عشرين ألف دينار أزمها على نفسه، وعلم حمير بن عبد العزيز بذلك، فقال: إن بيت المال أحق بهذا، وأخذ التجار مستحقاتهم من بيت المال.

ويبدو أن العرجي كان يأمل في الوصول إلى منصب في جيش أو ولاية على بلد، ولكن لم يتم له ذلك، فاعتزل إلى الحمام في المرحلة الثانية من عمره، واتجه إلى اللهو والمكائد.

(١) الأغاني ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) الشملة: كساء مخمل دون القطيفة يشتمل به، أو مئزر من صوف أو شعر يوتر به.

(٣) الأغاني ج ١ ص ٣٩٥.

وإذا تركنا هذا الجانب من حياته الأولى بما فيه من كرم وشجاعة وفروسية فسوف نرى الجانب الآخر مليئاً بالمظرف واللبو والمغامرات الغزلية ، وقد نقل أبو الفرج كثيراً من معالم هذا الجانب الذي يشبه به سلوك عمر بن أبي ربيعة ، ولعلنا نستهل الحديث عن هذه المغامرات بما كان بينه وبين أم الأوقص ، فقد جاء في الأغاني : « أن العرجى خرج إلى جنبات الطائف متنزها ، فر يبطن النقيع (١) ، فنظر إلى أم الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضى ، وكان يتعرض لها ، فإذا رآها رمت بنفسها ، وتسترت منه ، وهى امرأة من بنى تميم ، فبصر بها فى نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فمدل عنها ولقى أعرابياً من بنى نصر على بكر له ومعه وطبا (٢) ابن ، فدفع إليه دابته وثيابه ، وأخذ قموده ولينه وليس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي ، أملك ابن ؟ قال نعم ، ومال إلين ، وجلس يتأمل أم الأوقص ، وتوالت من معها إلى الوطيين ، وجعل العرجى يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن . فقالت له امرأة منهن : أى شيء تطلب يا أعرابي فى الأرض ؟ أضاع منك شيء ؟ قال : نعم ، قلبي . فلما سمعت التيمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته ، فقالت : العرجى ابن عمر ورب السكمبة ! ووثبت وسترها نساؤها وقلن : انصرف عنه لا حاجة بنا إلى لبنك . فضى منصرفاً ، وقال فى ذلك :

أقول لصاحبي ومثل ما بي      شكاه المرء ذو الوجد الأليم  
إلى الآخرين مثلها إذا ما      تأوبه مؤرقة المسوم  
لحني والبلاء لقيت ظهراً      بأعلى النقيع أخت بنى تميم

(١) النقيع : موضع مجنات الطائف .

(٢) الوطب : سقاء اللبن .

فلما أن رأيت عيناى منها أسيل الخد في خلق صميم (١)  
وعيني جؤذر خرق وثغر كلون الأقحوان وجيد ريم  
حنا أترابها إدوني عليها حنو العائدات على السقيم (٢)

وللمرجى مقولة يذكرها الناس في موقف له ، فقد حدث ابن عمارق .  
قال : « وأعد المرجى هوى (٣) له شعبا من شعاب عرج الطائف إذا .  
تزلزلاها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أتان لها معها جارية لها .  
وجاء المرجى على حمار معه غلام له ، فواقع المرأة ، وواقع الغلام  
الجارية ، ونزا الحمار على الأتان ، فقال المرجى : هذا يوم غاب  
عذالي (٤) وضاعت صلاة الجمعة ، ولا نظن إلا أن هذه واحدة من  
الطرف التي أملها خيال الرواة على شخصية المرجى .

أما موقفه مع (كلايه) فقد جاء في شعره ، وذكرته أو أشارت إليه  
كتب الأدب ، وكانت كلاية مولاة لثقيف عند عبد الله بن القاسم الأموي  
العبلي ، وقد حوزت لتشبيب المرجى بالنساء وذكره لمن في شعره ،  
وشدة جراته على نساء قریش ، وأقسمت إن لقيه لتسودن وجهه ،  
وعلم المرجى بذلك ، وعرف أن ولها ترك محله ، وخرج إلى مكة ، فأقى  
قصره ، وطاف به ففرجت إليه كلايه ، وصاحت به ، وأخذت ترميه  
بالحجارة ، وتمنعه أن يدنو من القصر ، ورفضت أن تسقيه مخافة أن  
يلتصق بها منه شر ، فأنصرف وقد اختزن لها ذلك ، وقال :

(١) صميم : تام .

(٢) الأغاني ج ١ ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٧ .

(٣) هوى بمعنى مهوى أى محبوبة .

(٤) الأغاني ج ١ ص ٣٩٥ .

حدود بعث رسولاً في ملاطفة

ثقفنا إذا غفلت النساء الوهم (١)

وذكر في القصيدة التي بلغت أبياتها ثلاثة وعشرين (كما نجات في  
الأغاني) هذه المغامرة مع كلابه تلك الجارية التي خلده شعر العرجي اسمها  
وظهارتها وغيرتها على نساء قريش، وقد وصف - في مجموعة من الأبيات -  
تجشمه لشاق الوصول إلى أن كان بإزاء الباب وتحدث عن الجارية فقال:

قالت كلابه من هذا ؟ فقلت لها  
أنا الذي أمت من أعدائه زعموا  
أنا امرؤ جدي حب فأحرضني  
حتى بليت وحتى شفى السقم  
لا تكلفني إلى قوم لو أنهم  
من بغضنا أطعموا لحمي إذا طعموا  
وقال :

هذي يميني رهمن بالوفاء لكم  
فأرضي بها ولا تف الكاشع الرغم  
قالت : رضيت ولكن جئت في قر  
هلا تلبث حتى تدخل الظلم  
فبت أستي بأكواس أعل بها  
من بارد طاب منها الطعم والنسم (٢)

---

(١) الوهم : الكثير الوهم ، وهو السهو والغلط .  
(٢) النسم والنسيم : الريح الطيبة .

حتى بدا ساطع الفجر تحبه  
سنى حريق بليل حين يضطرم  
كفرة الفرس المنسوب قد حسرت  
عنه الجلال (١) تلالا وهو يلتجم  
ودعتن ولا شئ. راجعنى إلا البنان ولا الأعين السجوم (٢)  
ونكتنى من القصيدة (٣) بهذا القدر الذى يصور مغامرته مع (كلابه)  
ولكن انتقامه لم ينته بعد، فقد أعطى هذا الشعر بجماعة من المضيئ،  
وصنعوا منه عدة ألحان ولما سمع العليل بالشعر يفتى أخرج الأمة وأتهمها،  
ثم أرسل بها بعد زمان على بعير بين غرارتي بحر فأحلفها بمكة بين  
الركن والمقام أن العرجى كذب فيما قال، خلفت سبعين يميناً، فرضى  
عنها وردھا، وكان إذا سمع قول العرجى:

فطلما منى من أدلك النعم

قال: كذب والله ما منه ذلك قط.. وقد ذكر الأغانى هذه المغامرة  
بتفصيلاتها وهي تتلاءم مع شخصية هذا الشاعر المستهتر الساخرة التي  
تشبه - من وجوه كثيرة - شخصية عمر بن أبي ربيعة. بل إن قصيدة  
العرجى السابقة تذكرنا بقصيدة لعمر، وهي الرائية التي قال في أولها:  
أمن آل نعم أنت غاد فبكر؟  
غداة غد أم رانح فبهجر؟

- 
- (١) الجلال: جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به.  
(٢) السجوم: جمع سجوم، والسجوم من العيون: الكثيرة سيلان الدمع  
(٣) راجع كل الآيات بالأغانى ١٥ ص ٣٨٩، ص ٣٩٠



وقد امتد لسائته بالفتول الفاضح إلى عاتكه زوج واحد من شعراء  
الطائف وهو طريح بن إسماعيل الثقفي ، فقال فيها ألياناً غزلية ذات معان  
مكشوفة ، ثم أحكم لسائته فأدخل هذه الأبيات إلى ساحة المتئين بمكة  
المكرمة ، فزاد التثمير بعاتكه بدون سبب معروف .

وذكر الأغاني ألياناً للمرجى في زوجه ( أم عثمان بنت بكير بن عمرو  
ثابت بن عثمان بن عفان ) .

فقال فيها :

إن عثمان والزبير أحلا      دارها باليفاع (١) إذ ولداها  
لأنها بنت كل أبيض قرم (٢)      نال في المجد من مقصّي ذراها  
سكن الناس بالظواهر منها      وتيسوا لنفسه بطعها (٣)

وكان الرشيد بعد أن تزوج امرأته العثمانية يتغزل بهذه الأبيات  
لإعزازاً لزوجته ، ولإعجاباً بالأبيات .

وقد وضع أن ما قاله المرجى في هذه المرحلة من عمره لا يخرج في  
ملاحه وبواعثه عن النماذج السابقة التي تمثل غناه وكرمه وبأسه من  
تلاحيه وظرفه ومجونه من ناحية أخرى ، ولكن شمس شبابه لم تلبث أن  
غابت . فأخذ يوطن نفسه لحريف عمره الذي عاشه ، أو قضى معظمه في  
حكمة المكرمة .

---

(١) اليفاع : المشرف من الأرض والجبل .

(٢) القرم من الرجال : السيد العظيم .

(٣) الأغاني ج ١ ص ٣٩٩

٣ - حياته الثانية :

تمثل الحياة الثانية للمرجى المرحلة الأخيرة التي أقضت به إلى الحبس الذي أودعه فيه والى مكة محمد بن هشام المخزومي، ولم يكن السجن إلا نهاية لمجموعة من التجاوزات التي أوقع المرجى نفسه فيها ، كما أن هذه التجاوزات كانت تعبيراً عن قلقه وبأسه من تحقيق آماله .

وكان من الأحرى به أن يدع عبث الشباب إلى جد الشيوخ ، ولكن والى لم يسكت عن هذا القبح القرشي واستناده ، الذي كان قد تحرش به ، فذكر أمه (جيداء) في شعره ، وتقول بها من غير حب لها كقوله فيها :

إلى جيداء قد بعثو رسولا ليحزنها فلا صعب الرسول  
كان العام ليس بعام حج تغيرت المواسم والشكول (١)

وقد تباينت مواقف القرشيات من القول بهن اختلافاً كبيراً فمن من كانت تسعى إلى الشاعر وتطلب منه أن يذكرها في شعره ، وترى في ذلك دلالة على جمالها وقوة أسرها ، وليس بخاف علينا ما قاله عمر ابن أبي ربيعة في فاطمة بنت عبد الملك ، بل إنها أعطت من أنماها بشعر قاله فيها لكل بيت عشرة دنانير ، كما كانت عائشة بنت طلحة تعجب وتزهو بشعر عمر فيها ، وبعض النساء كن يطلبن من عمر ألا يذكرهن صراحة في شعره .

وكان أفراد البيت الأموي الحاكم يكرهون ذكر نسائهم في الشعر.. فما بالك بالقول الفاضح المكشوف، ولذلك نقدر للخزومي غيرته على أمه وزوجه ، وغضبه من قول المرجى فيها ، خاصة وأن هذا الشاعر من الذين

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٢.

يتفق بشعرهم ، وبذلك تنتشر الأقاويل وتعم البلوى بسبب هذا الغزل  
الذى يعيب أهل بيت الأمير أو الوالى وهو شخصية لها من التقدير  
ما ليس لغيرها .

ومما قاله العرجى فى جيداء :

عوجى عليا ربة الهودج      لأنك إن لا تفعلنى نخرجى  
لانى أتيت لى يمانية      لحدى بنى الحارث من مذحج  
هلبك حولا كاملا كله      ما نلتقى إلا على منج  
فى الحج إن حجت وما ذامنى      وأهله إن هى لم تصحج (١)  
ولمخ المغنون أيضاً بهذا الشعر ، وأعجبوا به ، بل كان الواحد منهم  
يقسم بالطلاق على زوجته أن يسمعه الآخر ، وبخاصة البيت الذى قال فيه :  
فى الحج إن حجت ، وما ذامنى      وأهله إن هى لم تصحج  
وكان ابن سريج قد لقي عطاء بن أبى رباح ، وهو راكب بمنى على  
بقلته فأقسم الأول بالطلاق أن يقف لسماع غناء الأول لهذا البيت السابق  
وإلا فسوف يمسك زمام بقلته ، ولا يفارقها ، ولو قطعت يده حتى يغنيه  
ويرفع صوته ، وأذن له عطاء فغناه .

ولم يقتنع العرجى بهذا الشعر الذى طعن به المخزومي ، والذى لم يكن  
تعبيراً عن عاطفة وحب لجيداء ، فأنشئ يشجب بزوجه (جيرة المخزومية)  
فقال فيها :

عوجى على فسلمى جبير      فميم الصدود وأنتم سفير  
ما نلتقى إلا ثلاث منى      حتى يفرق بيننا النفر  
الحول بعد الحول يتبعه      ما الدهر إلا الحول والشهر (٢)

(١) الأغاني ١ ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٧

(٢) المرجع السابق ١ ص ٤٠٨

وتناشد المتنون هذا الشعر، وتلاعبوا بالخانة بمثل ما صنعوا مع الشعر الذي قيل في جديده . وهكذا صارت أم الوالي وزوجه — وقد تكون معها أخته — أمثلة للناس وأضحكة للشعراء والصعاليك والسطار .

وذكر أبو الفرج أن هذه الأشعار، ومنها أيضاً ما قيل في هجاء محمد المخزومي قد أذهبت الشاعر إلى السجن ، فقد اضطفت عليه الوالي، وانتظر المناسبة التي حلت به أو السبيل التي وقع فيها، ولم يلبث أن وجده .. فأخذه وقبده وضربه ، وأقامه للناس ، ثم حبسه ، وأقسم : لا يخرج من الحبس مادام لي سلطان ، فكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه (١) في عام مائة وعشرين من الهجرة .

والظاهر أن ذلك لم يكن سبباً للحبس ، فكأن من الشعراء من قال بمثل قوله في نساء الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد ، ولم يلق من العقوبة والإهانة ما لقيه العرجي ، ذلك الشاعر الذي كان واحداً من ضحايا الكراهة بين البيت الحاكم في الشام وأبناء الصحابة وحفدتهم في الحجاز . وقد كان هناك سبب آخر اندفع إليه العرجي بهوده — أو بظلمه وقسوته أيضاً ، فسبق من أجله إلى السجن حيث عاشم مولى لآبيه ، وأجاب المولى بمثل ما قال فيه ، وأمهله العرجي إلى الليل ، حيث أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، وهجم عليه في منزله ، ثم أوثقه ، وسلط عليه عبيده ففضحوا امرأته أمامه ، ثم قتلوه وأحرقوه بالنار ، فاستعدت امرأته عليه محمد بن هشام المخزومي ، فقبض عليه ، وضربه وحلق رأسه ، وصب عليه الزيت ، وعرضه للناس ، وأدخله السجن ، وبقي فيه إلى أن مات ، وقيل إن ظلم العرجي كان لأحد مواليه الذي وكله بخدمة حرمه ، فكان يختلف إليهم ويحدث بعضهم ، فقتله وأحرقه بالنار ، وسواء أفل المولى هذا الأمر

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٩

أو ذاك ، فلم يكن يستحق القتل والإحراق ، ولذلك وجد المخزومي في هذا الأمر بالإضافة إلى هجائه له ، وغزله بأمه (جيداء بن عفيف) وزوجه (جيرة المخزومية) ما يستحق عليه السجن والتعذيب ، ومن هنا بدأت المسألة الحقيقية للمرجى الذي كان ضحية لمجموعة من السلوكيات التي وقعت فيها ، أو أجبرته الظروف المحيطة به على الوقوع فيها ، ولذلك تفجرت حاساته داخل السجن ، وبكى على واقعه الممض ، فقال :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا  
ليوم كريمة وسداد ثغر  
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسقتها بنحري  
أجرر في الجوامع (١) كل يوم  
فيالله مطلقى وصبرى  
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً  
ولم تكن نسبي في آل عمرو (٢)

وقد تمثل كثير من القادة العظام بهذه الأبيات . ولعل من أبرزهم محمد ابن القاسم الثقفي الذي قضى أكثر حياته فاتحاً في آسيا ، كما غدا البيت الأول منها مضرب المثل لكل من هان على قومه بعد أن أبلى البلاء الحسن من أجلهم .

ولم نلبث حوادث الأيام أن كشفت عن تحامل المخزومي على المرجى فبعد أن توفى هشام بن عبد الملك وولى الخلافة الوليد بن يزيد اضطفن على المخزومي وأخيه إبراهيم بن هشام لذلك ، وضربهما ضرباً مبرحاً ،

(١) الجوامع : جمع جامعة وهي هنا القمل .

(٢) آل عمرو : يقصد عمرو بن عثمان بن عفان ، والأبيات في الأغاني .

وأثقل بالحديد ، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وحبسهما مع  
عالم القسري ، وعذبوا تعذيباً شديداً إلى أن ماتوا جميعاً في يوم واحد ،  
وهكذا انتقم للعرجي ، فهو ابن عمه وولي تاره كما قال .

٤ — تقويم شعره :

لقد عقد أبو الفرج فصلاً مطولاً في الأغاني عن حياة العرجي وشعره ،  
وتحدث فيه عن الغرام بهذا الشعر الذي ذاع وانتشر على ألسنة جماعات  
المغنين في مكة المكرمة ، وسبق أن ذكرنا من الأشعار والمواقف المختلفة  
ما يكشف عن ميول هذا الشاعر واتجاهاته ، فقد غاش بالطائف ، وانتهت  
حياته في مكة فأخذ من الطائف طيب هواها وجمال وديانها وكثرة خيراتها ،  
فطلب ، وبالغ في لهوه ، وتعمل بأفضل الصفات كالكرم والشجاعة  
والفروسية ، بينما تأثر في مكة بالطرب والغناء ، فلان شعره ووقت ألقاه ،  
وحسن ظرفه ، لكنه انحرف عن الشعر إلى السياسة ، أو مال به إلى المنف  
والقوة ، وكأنه وظف الغزل في السياسة أو تغزل بقصد الهجاء ، وترك  
شعر الحب ، واتجه إلى الهجاء والفخر والشكوى من الدهر .

وما أكثر ما أعجب القدماء بقوله ونسيه ، ولنقرأ ما ذكره أبو الفرج :  
مروياً عن عبد الله بن عمر العمرى قال : « خرجت حاجباً ، فرأيت  
امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفقت فيه فأدريت ناقتي منها ، ثم قلت لها :  
يا أمة الله ، ألسنت حاجبة ! أما تخافين الله افسفرت عن وجه يهر  
الشمس حسناً ، ثم قالت : تأمل يا عم ! فإنني بمن عا العرجي بقوله :

أماطت كساء الخو عن حر وجهها  
وأدنت على الحديد برداً مهلبلاً

من اللاء لم يصحمن يبين حبة  
ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال ، فقلت لها : فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار .  
قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بنضاء  
العراق لقال لها : أعزني قبلك الله ! ولكنه ظرف عباد أهل  
الحجاز (١) .

وهذه امرأة أخرى أعجبت أيضاً بشعر العرجي ، وهي حبشية من  
مولدات مكة ، وقد صارت إلى المدينة ، فلما عرفت بموت عمر بن أبي  
ريعة (٢) اشتد جوعها ، وأخذت تكي وتقول : « من لمكة وشعابها وأباطعها  
ونووها ووصف نساها ، وحسنين وجمالين ووصف ما فيها أفقيل لها :  
خفضي عليك ، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك  
مسلكه ، فقالت أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ، فمسحت عينها  
وضحك وقالت : الحمد لله الذي لم يضيع حرمه (٣) سريتم والله عني .

ولم يتوقف الإعجاب بشعره على النساء ، فقد أعجبت به طوائف أخرى  
من الرجال ، فكان أبو حنيفة يعجب بفناء من شعر العرجي ، فقيل إنه  
استمع كثيراً لجار له وهو يفتي :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا

ليوم كريمة وسداد ثمر

وتغيب هذا الجار ، وعرف أبو حنيفة أنه اقتيد إلى الحبس ،

(١) الأغاني ١ ص ٤٠٤

(٢) توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة .

(٣) الأغاني ١ ص ٢٧٨

وركب الشيخ إلى عيسى بن موسى (١) ، وطالب أبو حنيفة بالإفراج عن هذا الرجل (المفتى) فأوصى عيسى بإطلاق كل من أخذه العسس في تلك الليلة ، ولما خرج ، قال له أبو حنيفة : « ألسنت كنت تغنى يا فتى كل ليلة :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيها القاضي ، ولكنك أحسنت وتكرمت ، أحسن الله جزاءك قال : فعد إلى ما كنت تغنيه ، فإني كنت آنس به ، ولم أر به بأساً . قال : أفعل ، (٢) .

وقد سجلت مؤلفات القدماء مظاهر أخرى للإعجاب بشعر العرجي ، ولو ذكرتها لأطلت الكلام .

وفي العصر الحديث كتب الدكتور طه حسين عن العرجي فصلاً ممتازاً بجريدة ( السياسة ) (٣) .

واستهله بقوله : « أريد اليوم أن أحدثك عن شاعر ظريف خفيف الروح محبوب إلى النفس ، فيه خصال الرجل العربي حقاً ، لا أريد عربي البادية ؛ ولا أريد الحضري الفقير ، وإنما أريد العربي الذي قضى الله له مولداً كريماً وثروة ضخمة ومكانة ممتازة ، فاستمتع بهذا كله كما ينبغي أن يستمتع به ، وظفر من هذا كله بما يستتبع من الخلال الحسنة والسينة ، فأنت تجد عنده مزايا الثروة ونفاستها ، وأنت تجد مصدراً لكل ما يصدر

(١) راجع ترجمة بالأغاني ج ١٦ ص ٢٤١

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٤١٤

(٣) نشرته الجريدة في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٢٤ م ، ثم طبع ضمن كتاب (حديث الأربعماء) الجزء الأول .



عن الأرستقراطية من غير وشر ، وأنت تجده مثلاً صادقاً لهذه الطائفة من الشباب الهجائى الذى حدثتكَ عنه غير مرة ... (١).

كما اهتم الاخوة في العراق بالمرجى ، فكتب عنه أحدهم في مجلة الرسالة (٢) ، وأفاض في الحديث عن ديوانه ، ودعا إلى نشره وإخراجه وكان أن طبع الديوان لأول مرة — حسب علمي — في بغداد (٣) بنشر خضر الطائي ورشيد العبيدي ، ثم توالى الكتابة عن هذا الشاعر العربي النادر .

٥ — بين المرجى وعمر بن أبي ربيعة:

لقد عاش ابن أبي ربيعة عمره كله في الهجاء ، وتوفي قبل المرجى بما يقرب من سبعة وعشرين عاماً ، وهي فترة كافية لأن يسكون فيها شاعر هذا الفصل خليفة لابن أبي ربيعة ، وسبق أن قلنا إن قصيدة المرجى في (كلاية) تصبه (في موضوعها وفكرتها ورقة ألفاظها) قصيدة عمر بن أبي ربيعة في (نعم) غير أن عمر كان شاعراً متخصصاً في الغزل ، رامت في فنه ، بعكس المرجى الذى قال أكثر شعره في الغزل ثم تأتى الأغراض الأخرى مثل الأدب والمدح والمجاء والفخر والشكوى ، وقد مثلنا لبعض هذه الألوان . وقد أخطأ (ابن قتيبة) مرة أخرى عندما ذكر أن المرجى قد هجا .

(١) حديث الأربعماء للدكتور طه حسين ج ١ ص ٢٤٠ طبع دار المعارف .

(٢) كتب عنه الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري في الرسالة السنوية (١٩٩٣) العدد (٩١٣) أول يناير سنة ١٩٥١ م ص ٧٠٦ — ٧٠٧ .

(٣) خرج الديوان بشرح وتحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي . طبع الشركة الإسلامية للطباعة والنشر — بغداد ١٩٥٦ م .

إبراهيم بن هشام المخزومي فأخذه وجبسه (١)، إذ أن الشاب — من واقع المصادر التي أطلعنا عليها — ومنها الأثافي — أن الذي قام بذلك هو محمد بن هشام المخزومي، أمير مكة وغال الخليفة (هشام بن عبد الملك)، وأخو (إبراهيم) المذكور .

وقد اتصف عمر بن أبي ربيعة بالرقّة والتأني والحدود ، وكان مطمئناً — كما قال طه حسين — (٢) إلى لبن الحياة . وخفض العيش وحديث النساء بينما كان المرجى فيه فضل من قوة وعنف، وبالع في أشياء كثيرة كاللهو والوجود والبأس والكراهية، وقد انعكست هذه الصفات عليه ، فأعرض الناس عنه أيام محته مع محمد المخزومي .

كالم تكن لعمر أطماع سياسية، وكأنه احتقر السياسة وأهلها ، فقصر شعره على النساء ، بينما حاول المرجى السياسة ، وبنى آماله على أوهاج أو أطماع ليست له، فعادى السياسيين وهجّاهم وحاربهم في نساءهم، ولذلك كان مصيره إلى السجن الذي قضى فيه السنوات الأخيرة من حياته .

(١) انظر الشعر والشعراء ، ص ٢٧٨

(٢) انظر حديث الأربعة ، ص ١٦ من ٢٤٦ إلى ٢٤٨

## الفصل الخامس

يزيد بن ضبة

شاعر ثقيف من الموالى

### ١ - إطلالة على حياته :

لم تذكر المصادر في نسب يزيد أكثر من قولهم بأنه يزيد بن ضبة الثقفى وكان أبوه واسمه (مقسم) قد مات ، وخلفه صغيراً ، وعكفت (ضبة) وهي أمه على تربيته فنسب إليها ، وذلك لشهرتها أيضاً ، إذا كانت تحضن أولاد المغيرة بن شعبه ثم أولاد ابنة عروة بن المغيرة .

و (يزيد بن ضبة) من موالى ثقيف ، ولا ينتظر أن تحظى نشاطه بأكثر مما يناله قرناؤه . وإن كانت الأوضاع الاقتصادية في الطائف تيسر لوالديه أن ينفق عليه بلا حرج ، وكان هذا الولاء لبني مالك بن حطيظ ، ثم لبني عامر بن يسار ، وقد تزوج (يزيد) بامرأة تسمى (عمارة) ووورد في رواية للأغاني اسم ابن لها يسمى (عبد الله) وكان شاعراً يتهاجى مع مولى آخر لثقيف يسمى عترة بن عروس .

ويدو أن (ابن ضبة) قد برز أقرانه في قول الشعر ، وتجاوز اسمه حدود الطائف ، وعلم به الأمراء في الشام ، فكانت النقلة الأولى في حياته إلى مقر الخلافة بدمشق ، وبدأ اتصاله بالوليد بن يزيد أيام أن كان أميراً ، وقد كانت (أم الوليد) من ثقيف ، ولذا وجدناه يقبل على هذه القبيلة ويختار شعراء منها .

وكان (يزيد) في معيته ، وبخاصة في المدة التي كان والده (يزيد بن عبد الملك) خليفة (١٠١ هـ — ١٠٥ هـ) وامتدح شاعرنا الوليد بشعره لا نستطيع أن نتعرف على ظروفه ومناسباته ، وقد كشفت رياح التغيير فيه الشام عن واحدة من أجود القصائد التي هتف بها ابن ضبة ، وذلك عندما انتقلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك (من ١٠٥ هـ — ١٢٥ هـ) وأتاه بليته ، ومدحه ؛ ولكن هشاماً لم يأذن له وأمر بإخراجه .

ومن الواضح أنه رفض هذا الشاعر لملاقته بالوليد ، فلم يكونا على وفاق ، وبلغ الوليد ماجرى لشاعره ، فبعث إليه بخمسة دنانير ، وأشار عليه بالعودة إلى الطائف ، ووجهه إلى ماله هناك ، ووفر له كل وسائل الحياة ، وعاش يزيد بالطائف طوال السنوات التي كان فيها هشام خليفة للسليين ، ولا نظن أنه انقطع فيها عن مدح الوليد ، ونأق إلى أولى القصائد التي حفظتها لنا مصادر الأدب ، حيث ترك يزيد الشام عائداً إلى الطائف ، فقال هذه القصيدة يعرض فيها بهشام بن عبد الملك ، فضلاً عما فيها من نسيب وغفر ، وجاءت في ستة وعشرين بيتاً حسب روايتها في الأغاني .

قال :

أرى سلمى تعد وما صدداً      وغير صدودنا كنا أردنا  
لقد بخلت بنا ثلها علينا      ولو جادت بنا ثلها حمداً  
وقد ضقت بما وعدت وأمنت      تفرح عدها عما عهدنا

وقال :

فلا تنسوا مواطننا فإنا      إذا ما عاد أهل الحرم عدنا  
وما هيض مكاسر من جبرنا      ولا جبرت مصيبة من همدنا  
ألا من مبلغ عن هشاماً      فما منا اليلاء ولا يمدنا

وما كنا إلى الخلفاء قضى ولا كنا نؤخر إن شهدنا  
ألم يك بالبلاء لنا جواء فتجوزي بالخاسن أم حسنة  
وقد كان الملوك يرون حقاً لو افدنا فتكرم إن وفدنا  
ولينا الناس أزماناً طوالاً  
وسسناهم ودسناهم وقدنا (١).

وكان الوليد قد وجه ابن ضبة إلى الطائف خوفاً عليه ، فلا يأمن  
جباب هشام عليه ، إذ ربما يذكره مرة في شعره فيأمر بسجنه وقتله .

وقد بقى يزيد مخلفاً لمدوحه وولى نعمته ، وما إن مات هشام  
وبويع الوليد بالخلافة سنة مائة وخمس وعشرين حتى انتقل يزيد من  
الطائف إلى الشام وإذا به يقول للوليد ما لم يقله ، فبهته بالخلافة في واحدة  
من أروع قصائد التهينة والمدح .

وإذا كان يزيد قد هنا الوليد بالخلافة فإنه هنا نفسه أيضاً  
بالعودة إلى الشام والوقوف بين أيدي الخلفاء ، وكأنه استعاد ثقته  
بنفسه بعد طرده من حضرة هشام بن عبد الملك ، وجاء في الأغاني أنه  
دخل على الوليد والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم  
فنهأه بالخلافة ، وأدماه الوليد وضعه إليه ، وقبل يزيد رجله والأرض بين  
يديه ، فقال الوليد لأصحابه : هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه  
إلي ، فاستأذنه يزيد في الإنشاد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم  
الذي نهاني عنه هشام عن الإنشاد فيه ، قد بلغته بعد بأس ، والحمد لله  
على ذلك ، فأذن له ، فأنشده :

سليمي تلك في العير قني أسألك أو ميرى

(١) الأغاني ٧٤ ص ٩٥ ، ٩٦

وبعد أن وصف المطايا وصفاً بدوياً جميلاً يتوافق مع هذه المناسبة كما

قال :

لنعتام (١) الوليد انقر م أهل الجود والخير  
كريم يهب البزل مع الخور الجراجير (٢)  
تراعى حين تزجيتها هويا (٣) كالمواير  
ويعطى الذهب الأحده سر وزناً بالقناطير  
يلوناه فأحمدنا ه في عسر وميسور  
ككريم العود والعنصر م غمر غير مزور  
له السبق إلى الغايا ت في ضم المضامير  
لإمام يوضح الحق له نور على نور

وذكر أبو الفرج منها واحداً وثلاثين بيتاً ، ثم نقل رواية عن  
عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة جاء فيها بعد تمام الأبيات : فأمر  
الوليد بأن تعد أبيات القصيدة . ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت  
فكانت خمسين بيتاً ، فأعطى خمسين ألفاً ، فكان أول خليفة عد أبيات  
القصير ، وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ، ثم لم يفعل ذلك إلا

(١) اعتام : اختار واصطلى : يريد : تقصد إليه عتارة له .

(٢) الخور : جمع خواردة وهم الناقة الغورية الذين . والجراجير : جمع  
جرجور وهو الإبل الكريمة .

(٣) الهوى : الهوى في الأذن .

- بهارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدى مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصورا الفخرى لما مدحاه، وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألف درهم، (١).

وقد عاش الوليد بن يزيد في الخلافة عدة أشهر حيث قتل في جمادى الآخرة من سنة مائة وست وعشرين، واختفى يزيد بن ضبة بعد هذا التاريخ، فلم يوجد له من هو في مثل الوليد، وتوارى عن الأنظار إلى أن توفي فيها بعد، وربما في التاريخ الذي حدده الزركلي وهو نحو عام مائة وثلاثين ويبدو أنه قضى هذه السنوات الخمس حزيناً ملثماً في الطائف بعد نكبة الوليد.

#### ٢ - أغراض شعره:

لقد ذكرنا لابن ضبة نموذجين من شعره وهما في الفخر والمدح، أما الفخر فقد قصد به قبيلته ثقيف التي ينتسب إليها، ويدين لها بالولاء، ولا يخفى على أحد شيوع الفخر القبلي بين الشعراء في الجاهلية والإسلام.

وكان لشعراء الطائف نفس طويل في شعر الفخر، وبخاصة من انتسب منهم إلى قبيلة (ثقيف) صاحبة الأيادي البيضاء على نظام الحكم الأموي.

وجاء الفخر في القصيدة التي غادر معها الطائف بعد رفض همام له من بحر الوافر، وكأنها تذكرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم التي تتفق معها في الروى وإن كانت قصيدة (ابن ضبة) ترتفع بموقف لا ينسأ، ولذلك جاء الفخر فيها مشحوباً بالحزن والألم والضيق، على عكس قصيدة ابن كلثوم التي كانت

تنطق كلها بالقوة والبأس والشجاعة ، فضلا عن قوة الشاعرية التي منحها عمرو ، وجعلت منه رائداً في شعر الفخر ، أما هذا الغرض فقد جاء في معية أغراض أخرى في قصيدة يزيد .

ونأتي إلى المدح الذي اختص به الوليد بن يزيد وإن كان الذي وصلنا منه لا ييسر لنا الحكم على أسلوبه وقدراته في هذا اللون ، أما القصيدة التي سبق أن ذكرنا بعض أبياتها والتي ينسب فيها الوليد خليفة للسليمان فلم تصل إلينا كاملة ، كما أن الأبيات التي خصصها للمدح كانت قليلة بالنسبة للموقف الذي أنشدت فيه . أما أنه قد كوفي عليها فليس ذلك دليلاً على تفرد لها ، مع أنها — في مجموعها — قصيدة جيدة وغير معيبة .

وقد انعكست آثار البيئة الطائفية على ما قاله يزيد في شعر الغزل فجاءت الأوزان في هذا الغرض خفيفة قصيرة كأنها أراجيز . ثم إنه كان يبدأ قصائمه بالنسيب فإذا ضمننا هذه المطالع الغزلية إلى عدة مقطوعات أخرى مما نقل إلينا من شعره استطعنا أن نقض أبصارنا على لوحة لهذا الغرض . غير أن هذه اللوحة تبدو صغيرة جداً لتتلاءم مع هذا المقدار البسيط الذي وصلنا من شعره .

وما يستجد من غزله بمجموعة الأبيات التي استهل بها القصيدة السابقة ، والتي مدح الوليد وهناه فيها بالخلافة ، كما أنه استهل قصيدة طويلة له بالغزل ، وكان قد خرج مع الوليد إلى الصيد ، وقال قصيدة يصف فيها الفرس والصيد ، وبعد أن أتمها وسميها الوليد قال له اجعل القصيدة تشيياً واعطه الغزل وعمر الوادي حتى يتنيا فيه ، وأضاف تسمة أبيات إلى ما قاله ، وذكرها صاحب الأغاني مستقلة ومنها :

إلى هند \* صبا قلبي . وهند مثلها يصي



وهند غادة غيدا . من جرثومة غلب  
وما إن وجد الناس من الأدواء كالحب  
لقد لج في الإعراض والحجر بلا ذنب  
ولما أقضى من هند ومن جاراتها نجي (١)

وقد تقول ابن ضبة هند وجاراتها وسلمى وسليمة على طريقة الشعراء  
الحضريين في الحجاز الذين كانوا يتغزلون بأكثر من واحدة ولا يخفى  
علينا راحهم في هذا المجال وهو عمر بن أبي ربيعة .

كما يصف ابن ضبة محبوباته وصفاً حسياً مكشوفاً بالرغم من قلة  
النماذج التي وصلتنا من هذا اللون، فضلاً عن قلة ما وصلنا من شعره كله .

ونأتي إلى ما قاله من شعر الطرد، وهو الذي يصف فيه الصيد خاصة  
بأنواع الحيوان عامة، ويبدو أنه كان ذا نفس طويل في هذا اللون  
ففي الأغاني قصيدة متميزة، لا تدل على أنها الوحيدة لهذا الشاعر وقد  
تمثلت فيها قدرته على وصف الفرس وصفاً طويلاً تناول فيه سرعته وشدة  
عدوه، كما عرض لأكثر أجزاء جسمه على طريقة الشعراء الجاهليين  
وما قاله فيه :

صليب الأذن والكاهل والموقف والمعجب  
عريض الخد والجبهة والبركة والهلل (٢)  
إذا ما حثت حاث يساري الريح في غرب

(١) الأغاني ٧ ص ١٠٢

(٢) البركة : الصدر ، والهلل : شعر الذنب .

وإن وجهه أسر ع كالغدرؤف في الثقب (١)  
وقد امتدت أبياتها فضلا عن الآيات الغولية الأخرى التي اقترحها  
الوليد ، وضمت إلى هذه البائية .

ونؤكد على خطورة ما لحق يزيد بسبب ضياع الكثير من شعره ، فلم  
يتعرف الناس على الجوانب السكاملة من فنه ، ولم يقرءوا له إلا مجموعة  
من القصائد لا تزيد عن أربع ، وعددًا من المقطوعات لا يزيد عن ذلك ،  
فضلا عن بعض الآيات المفردة .

وبما قاله في الحكمة :

لا تبدين مقالة « مأثورة » ،  
لا تستطيع إذا مضت إدراكها (٢)

كما روى له بيتان في الشكوى والتوجع وهما :

وقد جعلت إذا ماتمت أوجعني  
ظهري ، وقت قيام الشارف الظهر (٣)  
و كنت أمشي على رجلين معتدلا  
فصرت أمشي على رجل من الشجر (٤)  
وتكشف النظرة العامة للمجموع من شعر يزيد (٥) أنه تعرض

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٠١

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٢٢٦

(٣) الشارف من الإيل : المسن ، والظهر : الذي يفتكي ظهره

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٧٦

(٥) جمعه عيضة الصواط في فصل من كتابه ( شعراء ثقيف ) : .

حقيقة السطو والاتحال ، فقد روى عن جماعة من مشايخ الطائفتين وعلمائهم  
قالوا : قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة ، فاقسمها شعراء العرب واتحلها  
فدخلت في أشعارها ، (١) وربما تكون هذه مبالغة من المشايخ والعلماء ،  
إلا إن مقولتهم صريحة في تعرض شعره للنحل مما جعل الحكم على أغراض  
شعره وبيان خصائصه غير دقيق ، فقد رويت له بعض القصائد التي لا يقولها  
إلا من له باع طويل في الشعر .

٣ - خصائص شعره :

لقد تعرض شعر يزيد للضياح والنحل ، وهذا يؤكد تميزه وتفرده ،  
فلو كان رديئاً أو ذليلاً لما اقتسمه شعراء العرب — كما قال علماء  
الطائف ، — كما أن القدر الذي وصلنا لا يعطينا الصورة الكاملة عن ملامح  
هذا الشعر .

— وردت ليزيد قصيدة ومقطوعة في وصف الصيد والفرس ( من  
الطرديات ) وتتميز بخشونة الألفاظ وحوشيتها ، وكأنها من أشعار  
الجاهليين ، وقد لاحظ الأصمعي ذلك فقال فيما يرويه في الأغاني : « كان يزيد  
ابن ضبة مولى ثقيف ، ولكنه كان فصيحاً ، وقد أدركته بالطائف ، وقد  
كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر » (٢) ولذا  
كثرت الألفاظ النثرية في معظم شعره ، ثم إنه يتحكم في مفرداته ،  
فأراها في الغزل رقيقة مناسبة ناعمة على عكس ألفاظه في الفنون  
الأخرى . فإن إضابة بدوي في وصف الفرس والصيد ، حضري في  
غزله ومدحه ، وقد ساعدته موهبته وتنقلاته بين الشام والطائف على  
هذا التلوين المشرق الزاهي .

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٠٣

— أسهمت الأوزان القصيرة التي نظم فيها أكثر شعره في صلاحيته  
للغناء ، وبخاصة ما قاله في الغزل والشكوى .

— وتؤكد أن الكلمة الأخيرة في تقويم شعر يزيد لم يقلها أحد  
بعد ما دام الكثير من شعره قد جارت عليه الأيام ، فأين الشعر الذي تهاجى  
به مع عنتر بن عروس ؟ وأين القصائد التي قالها بالطائف في مدح  
الوليد ؟ ونأمل أن تكشف الأيام عن نماذج أخرى لهذا المولى المتميز  
الفريد .

## الفصل الثاني

### طريح بن إسماعيل الثقفي

شاعر الوليد بن يزيد الأموي

#### أولا - أطراف من حياته :

عاش طريح الثقفي في المرحلة الأخيرة من عصر الدولة الأموية ، وقضى بقية عمره في معية الخلفاء الأوائل للدولة العباسية ، وقد انعكس ذلك على شعره الذي نقلته لنا أمهات الكتب مثل الأغاني وحاسة البحتری والشعر والشعراء ومعجم الأدباء وغيرها .

ونستهل الحديث عن هذا الشاعر ببيان نسبه كما جاء في معجم ياقوت ، فقال عنه :

« طريح بن إسماعيل بن أسيد بن علاج بن أبي سلة بن عبد المولى الثقفي . وأمه خزاعية بنت عبد الله بن سباع » (١) ، وأضاف أبو الفرج زيادات على هذه السلسلة من النسب - من ناحية أبيه - فليرجع إليها من شاء . أما سباع المذكور في نسبه من جهة أمه فهو سباع بن عبد المولى الذي قتله حمزة بن عبد المطلب في معركة أحد . . . وذكر ابن قتيبة كلمة

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٢ ص ٢٢ طبع دار المأمون ، ونشر دار إحياء التراث العربي - بيروت .

ذات أهمية كبيرة ونحن نتحدث عن طريح فقال عنه : « وكان شاعراً شريفاً ، وله عقب بالطائف » (١) : وتأتي أهمية هذه الكلمة في أن طريحاً كان من أهل الطائف فضلاً عن انتسابه لقبيلة ثقيف ، ولذلك ضمناه إلى سائر الشعراء في هذا الكتاب .

ويكتفى هذا الشاعر بأبي الصلح نسبة إلى ابنه (الصلح) الذي قاله له :

يا صلح إن أباك ومن منية مكتوبة لا بد أن يلقاها  
سلفت سواقها بأنفس من مضى  
وكذاك يتبع باقياً آخرها  
والدهر يوشك أن يفرق ريبه  
بالموت أو رحل تفت نوها  
لا بد بينكما فتسمع دعوة أو تستجيب لدعوة تدعهاها (٢)

ولا ندري شيئاً عن المرحلة الأولى من عمر طريح ، وأول ما نلقاه في مسيرة حياته هو وفاة زوجته (عاتكة) ، وكان ابنهما (الصلح) صغيراً ، فألقاه طريح إلى أخواله بعد موت أمه وقال فيه :

بات الحيال من الضليت مؤرق  
يفرى السراق مع الزباب الملتق  
ما راعني إلا ياض وجهه  
تحت اللججة كالسراج المشرق (٣)

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ ص ٦٨٢

(٢) الأغاني ٤ ص ٣٠٩

(٣) المرجع السابق ٤ ص ٣٠٩

تفرد الروايات التاريخية بمجموعة من الأخبار التي ترصد حياة طريح،  
وتتابع تنقلاته من الطائف إلى الشام والعراق إلى أن توفي عام مائة وخمس  
وستين كما ذكر ياقوت (١).

وليس في حياته شيء ذو بال يمكن أن يضاف إلى مجموعة الحقائق  
السابقة إلا ما يتعلق بالمناسبات التي أنشد فيها شعره، فقد تحدث أبو الفرج  
مثلاً عن نشأته ومشوار حياته فقال: «نشأ طريح في دولة بني أمية،  
واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في  
أيام المهدي، وكان الوليد له مكرماً مقدماً؛ لا يقطعه إليه، ولحقولته  
في ثقيف» (٢).

#### ثانياً: طريح وخلفاء بني أمية:

إن القيمة التي يمثلها شعر طريح هي التي جعلته مقدماً وذا حظوة عند  
عدد من الخلفاء الأمويين والعباسيين، ويبدو أن شاعريته لم تنوّهج إلا  
في نهاية القرن الأول الهجري حيث التقى بخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز،  
فلم تذكر لنا المصادر التاريخية ما يكشف عن لقاءاته مع خلفاء يتقدمون  
في الزمن عليه، ذلك الخليفة الورع الذي قال لطريح: أنشدني أبياتاً فيها  
نصح ومعتبر. فأنشده هذه الأبيات:

وأفضل أعمال الفقي الزاد  
لتي تدوم وتحلو لي عليها العواقب  
وأفضل بر برك الرحم التي  
عليها تجازي أجلا بالرغائب

(١) معجم الأدباء - ١٢ - ص ٢٣

(٢) الأغاني - ٤ - ص ١٣٠٩

وحسن ثنا الأبرار في كل محفل

يدوم له ما جد في السير واكب (١)

وقد عرف طريق بتوجيهاته الإسلامية ، ومبولة نحو الحكمة والنصح والاعتبار . وهذا ما يتواكب مع آياته السابقة ، والتي تكتمل منها ومن غيرها واحدة من أطول قصائده (٢) .

وتتواصل مسيرة صاحبنا إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد التقى به عندما كان أميراً ، ثم بعد أن أصبح خليفة حوالى عام مائة وخمسة وعشرين من الهجرة ، ومدحه طريق ، وأشاد به ، وتوجه إليه بأكثر ما قاله من شعر .

وقد كانت (أم الوليد) من قبيلة ثقيف ، وهذا ما شجع الوليد على أن يأنس لشاعر من ثقيف ، ويتق فيه ويرتاح إليه ، ويجعله أول داخل عليه وآخر خارج من عنده ، ولكل هذه الاعتبارات استحق طريق أن يكون شاعره وأن يطلق عليه ذلك ، ويشتهر به فيما بين الناس .

وتحدث طريق — فيما رواه أبو الفرج — عن بعض ما كان بينه وبين الوليد ، فقال : «خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أدخله معه . فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة (٣) : يا أمير المؤمنين ، خالك يجب أن تعلم

(١) نقل هذه الأبيات وخرجها صاحب كتاب (شعراء ثقيف في العصر الأموي) عيسى بن عبد القفور الصواط ص ٢٢٥

(٢) تألفت من ثمانية وثلاثين بيتاً حسب رصدها في المرجع السابق ص ٢٢١

(٣) المشربة (بضم الراء وفتحها) : الغرفة



شيئاً من خلقه ، فقال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شراباً قط بمزاج إلا  
من لبن أو عسل . قال : قد عرفت ذلك ولم يساعدك من قلبي . قال :  
ودخلت يوماً إليه وعنده الأمويون ، فقال لي : إلى أين خالي ، وأقعدني  
إلى جانبه ، ثم أتى بشراب فشرب ، ثم ناولني القدح ، فقلت : يا أمير  
المؤمنين قد أعطتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنما  
دفعته إليك لتناوله السلام ، وغضب . فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة  
نزلت على الحوران فذهبت أقوم ، فقال : أتمد . فلما خلا البيت افتري على  
ثم قال : يا عاض كذا وكذا أردت أن تفضحني ، ولولا أنك خالي  
لضربتك ألق سوطاً ثم نهى الحاجب عن إدخاله ، وقطع عني أرذاقي .  
فكثت ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متنكراً ، فلم يشعر إلا وأنا بين  
يديه ، وأنا أقول :

يا بن الخلائف مالي بعد تقربة  
إليك أقصى وفي حالك لي عجب  
مالي إذا (١) وأقصى حين أقصدكم  
كما توفي من ذي العرة (٢) الحرب  
كأنني لم يكن بيني وبينكم لئلا  
ولا خطة ترعى ولا نسب  
لو كان بالود يدي منك أزلقي  
بقربك الود والإشفاق والحديب  
وكت دون رجال جملتهم  
دوني إذ ما رأوني مقبلاً قطبوا

(١) أذاذ : أمتع وأدفع  
(٢) العرة : الحرب

إن يسمعوا الخيز يخفوه وإن يسمعوا  
 - شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا  
 رأوا صدودك، عني في اللقاء فقد  
 تحدثوا أن جلي منك، منقلب  
 فذو بالشاة مسرور، يعضتنا  
 وذو النصيحة والإشفاق مكثب  
 قال : فتبسم وأمرني بالجلوس فجلست : ورجع إلى وقال : إياك أن  
 تماود، (١).

وأنتم أيها الفرج أبيات هذه القصيدة إلى منها الأبيات السابقة، وهي  
 تعد واحدة من القصائد المطولة التي أنشدها طريح في حياته، ويلاحظ  
 أن القصائد التي طالع فيها نفسه قد توجه بها إلى الوليد بن يزيد مادحاً أو  
 معتذراً أو عاتياً أو ناصحاً، وإذا تركنا هذه البائبة فسوف نجد أمامنا قصيدة  
 أخرى سادت قصب السبق في موضوعها، وأنشدها أيضاً في مدح الوليد  
 وهي الدالية المشهورة التي قال فيها :

أقفر من يحله السند فالتجنى فالحقيق فالسند  
 لم يبق فيها من المارق بعد يد الحى إلا الرماد والوند  
 وعرة تكرت معالمها الريح بها مسجد، ومنصب (٢)  
 لم أنس سلى ولا ليالينا بالحنن إذ عشنا بهارعد (٣)

وقد ذكر أبو الفرج هذه القصيدة بكامله في أول الأبيات المختارة  
 منها للفناء، وبلغت أبياتها - حسب زوايته - الأربعين.

(١) الأغاني ج ٣، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٢) منتد : مجتمع ومقام

(٣) الأغاني ٤ - ص ٣٢٢، ٣٢٣، ص ٣٢٤

(٩١ - شذراء)

أما ثالثة القصائد الطويلة التي أنشدتها فهي في مدح الوليد بن يزيد ،  
وهي العينية التي قالها يستعطفه بها ، ويتضرع إليه فيها ، وأولها :

نام الخلى من الموم نوبات لي ليل أكابده وم مضطلع  
وسمرت لا أسرى ولا في لذة أدنى وأغفل ما لقيت المجمع  
أبغى وجوه بخارجى من تهمة أذمت على وسد منها المطلع (١)

وجاءت برواية الأغاني في اثنين وعشرين بيتا .

وتعد هذه القصائد الثلاث أطول ما روتها لنا الأخبار من شعر طريح ،  
وما خلا ذلك فعبارة عن مقطوعات صغيرة بين البيتين والثلاثة والأربعة  
ويضاف إليها بعض القصائد القصيرة التي تتراوح أبيات كل منها بين  
عشرة أبيات وخمسة عشر بيتا ، وتشكف لنا ميول طريح وتوجهاته  
من خلال شعره ، وبخاصة فيما كان بينه وبين الوليد بن يزيد .

لم تكن العلاقة بين طريح والوليد خالية من التنغيص . فقد نض الوشاة  
بقطع حبال الود بين الرجلين ، وأسهم حماد الرواية - حسب رواية  
بعض الأخبار - في إشعال نار الكراهية في قلب الوليد على طريح ،  
ولكن هذه الكراهية لم تلبث أن تحولت إلى إجاب وصفاء ومودة بين  
الرجلين ، وامتدحه طريح بأنضل ما قاله من شعر تغنى به المثنون من  
أمثال ابن عائشة وغيره .

وذكر أبو الفرج - فيما يرويه عن المدائني - : « أن الوليد جلس يوماً  
في مجلس له عام ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحاب الخوانج  
فمضاها ، وكان أشرف يوم رقى له ، فقام بعض الشعراء ، فأنشد ، ثم وثب  
طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهل بيته عن يمينه ، وأخواله عن  
شماله ، وهو فيهم ، فأنشده :

(١) المرجع السابق ج ٤ ص ٣١٤ ص ٣١٥

أمت ابن مسلتطع البطاح ولم تطرق عليك الجنى والولج (١)  
طوبى لقرعك من هنا وهنا طوبى لأعرافك التي تشج (٢)  
لو قلت للسيل دع طريقك وال موج عليه كالمضرب يمتلج (٣)  
لساخ واربد أو لكان له في سائر الأرض عنك منرج

فطرب الوليد بن يزيد إحقى رقى الاوتياح فيه . وأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا ينشدني أحد بعده شيئاً أو أمر لسائر الشعراء بصلوات وانصرفوا ، واحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر (٤) .

ويروون أن الوليد - بعد أن صار خليفة - غضب على ابن عائشة ، فلما غنى الشعر المذكور طرب له ، ورضى عنه ، وقد أعجب أبو الفرج بهذا الشعر ، فتحدث عنه ، ونسب الغناء منه في متن كتابه ، كما انتقد طريحاً على بعض المعاني التي أوردها في النص السابق .

وتكتمل مسيرة هذا الشاعر مع الخلفاء الأمويين ببقاء له مع مروان ابن محمد حيث وفد عليه يهنئه بالخلافة مع مجموعة من الشعراء ، وقال له : الحمد لله الذي أجمع بك على الإسلام إماماً ، وجعلك لأحكام دينه

(١) المسلتطع من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها ، وتطرق عليك : تطبق عليك .

(٢) التشج : أصول الثبت ، وتشج : تشبك وتلتف .

(٣) يمتلج : يلتطم

(٤) الأغاني ٤ ص ٢١٦ ، ص ٣١٧ ، وقد ذكر ابن عبد ربه أن

الشعر السابق قاله طريح في مدح المنصور (الخليفة العباسي) أنظر العقد الجديد ص ١٢٥ تحقيق محمد سعيد المريان ، طبع دار الفكر .

قواماً ، ولأمانة محمد المصطفى جنة ونظاماً ، ثم أنشدته شعرة الذي يقول فيه :

تسود عدالك في سداد ونعمة خلافتنا تسعين عاماً وأشهرها

- فقال مروان : كم الأشهر ؟ قال : وفاة المائة يا أمير المؤمنين ، تبلغ فيها أعلى درجة وأسمد عاقبة في النصرة والتكفين ، فأمر له بمائة ألف درهم (١) .

وتؤكدنا تجدنا طريحي يلاتي بثلاثة من الخلفاء الأمويين ، ويتخصص في مديح واحد منهم وهو الوليد بن يزيد ، ويذكر فيه ثلاثة من أطول قصائده ، وأفضلها ، ولكن دخوله على الخلفاء لم ينقطع ، فقد عايش الأواخر من الخلفاء العباسيين على حسب ما نرى في السطور التالية .

#### ثالثاً - طريح وخلفاء بني العباس :

إذا راجعنا شعر طريح من واقع الكتب والمراجع التي ورد بها ، ثم استثنينا منه القصائد والمقطوعات التي امتح بها الوليد بن يزيد فسوف نرى القدر الباقي منه قد جاء في صورة مجموعة من القصائد ذات الأبيات القليلة بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأبيات المفردة والمقطوعات القصيرة . وقد جعل طريح هذا القدر مرآة عكس بها مسيرة حياته في الطائف والشام والعراق .

ولتتابع رحلته مع الخلفاء العباسيين الأوائل . فقد ذكر له أبو إسحاق المصري خمسة أبيات في كتابه ( زهر الأدب ) وقال (٢) :

إنه قالما لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفايح ، وأولما :

(١) المقفة الفخرية لابن عبد الوهيد ٢٢٢٠

(٢) زهر الأدب المصري ، ص ١٠١ ، تحقيق علي حبيب علي طبع المطبعي .

قد طلب الناس ما يلفت ولم يألوا فيما قاربوا وقد جهدوا  
بيننا وأورد أبو الفرج هذه الأبيات مع القصيدة التي اترحت منها ،  
وقال إنها في مخرج المنصور ، ويكنى عنها في الأغاني بقول : « أنشد  
المنصور هذه القصيدة ، فقال للريح : أسمع أجداً من الشعراء ذكر  
في باقي معالم الحى المسجد غير طريح ، وهذه القصيدة من جيد قصائد  
طريح » (١) :  
وأولها :

أقصر من يحله السند فالتحنى فالمعنى فالعقبي فالسند

ولكن هذا الإنشاد لا ينبغي أن طريقاً قالها بمدح فيها الوليد بن يزيد  
كما سبق القول ، وكما أشار أبو الفرج نفسه إلى ذلك (٢) .

وإذا كنا نشك فيها أوردته الحصري حول هذه الدالية التي قاله إن  
الشاعر مدح بأبيات منها أبا العباس السفاح ، فإننا لا نشك في إنشاد  
طريح هذه القصيدة للمنصور ، إذ تأكد اتصاله به في لقاء نقدي أوردته  
أبو الفرج ، وتكشف فيه عتاب المنصور له في شعر امتدح به الوليد  
ابن يزيد ، وأحسن طريح فيه الاعتذار .

وجاء في الأغاني : « أن طريقاً دخل على أبي جعفر المنصور ، وهو  
في الشعراء ، فقال له : لا حياك الله ولا يياك : أما اتقنت الله وطولك !  
حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسيل دع طريقك والد موج عليه كالمضب يتلج

البحر من غير أن يضره

(١) الأغاني ج ٢ ص ٣٢٣

(٢) انظر المخرج السابق ج ٢ ص ٣٢٢

لساخ وارتد أو لكان له في سائر الأرض عنك منرج .  
فقال له طريح : قد علم الله عز وجل أني قلت ذلك ویدی بمدودة :  
إليه عز وجل ، وإياه تبارك وتعالى عنيت . فقال المنصور : يا ربيع ،  
أما ترى هذا التخلص ، (١) .

وإذا كان ياقوت الحموي قد ذكر وفاة طريح عام ١٦٥ هـ - وهو  
حجة في إثبات تاريخ الوفيات ، فإننا نقبل ما أورده ابن عساكر حول  
وفاة طريح على المهدى (٢) وقول المهدى له :

ألس الذي تقول في الوليد بن يزيد :  
أنت ابن مسلتطع البطاح ولم تطرق عليك الخنق والولج  
واقه لا تقول في مثل هذا ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت  
وصلتك ، (٣) .

وهكذا وضع لنا أن اتصال طريح بالخلفاء العباسيين كان محصوراً ،  
ولا يتمدى المواقف البسيطة التي تنبأ لأكثر الشعراء ، ولا توازن بما  
كان بينه وبين بعض الخلفاء الأمويين ، وبخاصة بمدوحه الوليد بن يزيد  
الذي أكرمه وأفاض عليه بمطلقه وإحسانه .

#### رابعاً - أغراضه الشعرية :

تنوعت الأغراض الشعرية عند طريح النقي ، ولم يكن من القلائل .

(١) الأغاني ٤ ص ٣١٥ ، ص ٣١٦

(٢) توفي المهدى عام ١٦٩ هـ .

(٣) انظر تهذيب ابن عساكر ٧ ص ٥٨ طبع دمشق عام ١٣٣٢ هـ .

الذين تخصصوا في لون شعري أو لونين ، فرأيناه يقول في المدح والاعتذار والوصف والفخر والثناء ، وغيرها ، ولم تكن هذه الأغراض لديه بدرجة واحدة على ما سوف نرى فيما يأتي :

١ - المدح .. إن شاعرنا طريحاً واحداً من شعراء المدح ، وإن أكثر ما قاله في هذا الفن توجه به إلى الوليد بن يزيد ، حيث ارتبط الإثنين بملاقة متميزة ، استمرت مدة طويلة ، امتدح الشاعر فيها الوليد يوم أن كان أميراً ، ويوم أن صار خليفة للسليمان ، وأن هذا المدح لم يتوقف إلا لمدة قصيرة أفسد فيها الوشاة بين الرجلين ، ثم لم يلبث أن عاد الشاعر إلى مدوحه تائباً ومعتزلاً . وكان الوليد مشدوداً إلى طريق الذي يمثل بالنسبة له الحقولة الثقافية الثلثية ، وقد تحدثنا عن القصائد التي امتدح بها ، والتي جمع فيها أكثر الصفات التي يمتدح بها الإنسان مثل الكرم والشجاعة وعزاقة الأصل وغيرها . وبما قاله في مدحه سوى ما ذكرناه :

سعت ابتغاء الشكر فيما صنعت في  
فقصرت مغلوباً ولأي لساكر  
لأنك تعطيني الجويل بداهة  
وأنت لما استكثرت من ذاك حافر  
فأرجع مقبوطاً ، وترجع بالي  
لما أول في المكرمات وآخر  
وقد قلت شعراً فيك لكن تقوله  
مكادماً مما تبتلى ومفاخر  
قواهر منها لم تخط بصفاتها  
يراد بها ضرب من الشعر آخر (١)

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢٥ ص ٣٦٢ نشر مكتبة الخانجي تحقيق



ونقرأ له شعراً آخر امتدح فيه أشخاصاً لم نستخدم لنا المصادر التي  
رجعنا إليها كقوله:

وأشعث طلاع الثنايا مبارك  
يقول نجاد السيف وهو طويل (١)  
وقوله:

جنود إذا جثته راجيا  
كفأك السؤال وإن عدت عادا  
خلاته كسبك النصار  
ولا يعمل الذهب فيه - فسادا (٢)  
وقوله:

فأنت غيهم نقماً وطودم  
دفعاً إذا ما مراد الممتنى جدبا (٣)  
ومكنا يبرز طرح في مدح الوليد ، وأطال فيما قال ، بينما جاء مديحه  
للآخرين قصيراً ، وفي حدود الصفات التي تحدث بها الشعراء إلى ممدوحهم .

عبد السلام هارون وجاءت الآيات الثلاثة [من ١-٣] بحاسة أبي تمام  
مع اختلاف في بعض الكلمات ، انظر شرح الحامسة للرزوقي ٤٥ ص ١٧٩٠  
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية تحقيق أحمد أمين  
وعبد السلام هارون

(١) أمالي المرتضى القسم الأول ١٥ ص ١٧١ تحقيق محمد أبي الفضل  
إبراهيم - مطبعة عيسى الحاي ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) الطبعة الأولى  
(٢) المرجع السابق ١٥ ص ٥٧٤  
(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (مثنى) ٦٥ ص ٤٢١٣ طبعة دار  
المعارف

ونحن نضمه إلى شعراء المدح لكثرة شمره في هذا اللون، مع أنه كان من المتكسبين بفنهم، وبخاصة ما اتجه به إلى الوليد بن يزيد.

٢ — الاعتذار . وهو يلون فناً في ظلال المدح، وإن تداخلت فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء، كما قال الدكتور شوقي ضيف (١) : « يقترب منه في العتاب الذي ينشئه بعض الشعراء ؛ لما قد يصيبه من أذى الأتارب وهذا ما تحقق في بعض ما قاله طريح بعد أن أفسد الحساد فيما بينه وبين الوليد . وما اعتذر به إليه في القصيدة العينية التي امتدحه بها وسبق أن تحدثنا عنها ، قوله :

يا بن الخلاف إن سخطك لأمري .

أشيت عصمتي بلا مفضل

فلا تزعن عن الذي لم تهو .

إن كان لي ورأيت ذلك مزع .

فأعطف — فذاك لي — على توسع .

وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع .

ولقد كفالك وزاد ما قد نالني

إن كنت لي يلاء ضر تقنع (٢)

وفي تاريخ هذا الشاعر ما يسجل اعتذاره للوليد — في موقف رواه أبو الفرج — بطريقتين اعتذر فيهما بقصيدة من غزل مدائح فيه . ومن تلك الأبيات التي اعتذر بها إليه قوله :

يا بن الخلاف مالي بعدة تقربة .

إليك أقصى وفي حالك لي عجب

(١) انظر — تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي ص ٢١١ .

(٢) الأغاني مج ٤ ص ٣١٤ .

ما لي أزداد وأقصى حين أقصدم

كما توفى من ذى المرة الجرب (١)

وهكذا قصر طريق شعر الاعتذار والعتاب على الوليد بن يزيد، ولم  
ترو لنا المصادر أنه قال شعراً يعتذر فيه لغيره .

٣ - الوصف .. وهو أعم الأغراض الشعرية، وترجع إليه أكثر  
فنون القريض، وبما قاله في وصف الشيب، وبيان ما أحدثه بالإنسان :

وترى المشيب يداً وأقبل زائراً      بعد الشباب فنازل ومودع  
والشيب للحكام من سفه الصبا      بدل تنال به الفضيلة مفتح  
والشيب زين بين المروءة والحجا      فيه لهم شرف ومجد يرفع (٢)

وقد أورد ياقوت مقطوعة ثانية له في وصف المشيب، كما ذكر له  
سبعة أبيات في أحداث الدهر، ويلاحظ على هذه التنازع وغيرها أنها  
تندرج في موضوع (الوصف)، وأن طريقاً معنى بيت الحكمة والوعظ في  
شعره . ويبدو أنه لجأ إلى هذه الأشعار في المرحلة الأخيرة من عمره بعد  
أن طرحت به الأيام، وغاب عنه الخللان، واقتقد الصديق والرفيق .

٤ - الغزل .. وهو فن واسع من فنون الشعر، حيث يعرض له  
الشعراء في مطالع قصائدهم وفي سائر الأبيات بذلك تتحول القصيدة كلها  
إلى نسيب وتشبيب .. ولطرح أبيات غزلية قالها عن الأطلال مثل :  
تستخير الدمن القفار، ولم تكن      لترد أعباءاً على مستخير  
فظللك تحكم بين قلب عارف      معنى أحبه وطرف منكسر (٣)

(١) المرجع السابق - ص ٤٠ ص ٣١٠

(٢) معجم الأدباء - ١٢٨ ص ٢٤

(٣) زهر الآداب - ١ ص ٢٤٠

وكان قد أخذ معنى هذين البيتين من قصيدة امرئ القيس :

أما على الزرع القديم بعمسا

واستلب منها الوقوف على الأطلال ، وصاغه تلك الصياغة السابقة :

وقد تحدث طريح في أبيات له عن ارتحال أهل المحبوبة ، وعن تأثير

الفراق عليه ، كما وصف معشوقته وصفاً حياً فقال :

نامت خلاخلها وجمال وشاحها

وجرى الوشاح على كتيب أهيل

فاستيقظت منه فلاتدها السقي

عقدت على جيد الغزال الأكحل(١)

وليس للشاعر تجربة طويلة في العشق تستحوذ على قلبه وشعره ، بل

إن ما قرأناه له لا يعدو أن يكون من الأبيات التقليدية التي يقولها

الشاعر في بعض المواقف تعبيراً عن حالة معينة . وليس لدينا قصيدة

طويلة أفرغ فيها حديثه ووجهه عن إحدى المعشوقات ، كما نرى عند الشعراء

الآخرين (٢) .. حتى البيتين اللذين ذكرناهما له قيل إنه سطا على معناهما

من قصيدة لامرئ القيس .

هـ - أغراض أخرى... وهي موضوعات متنوعة مثل الرثاء والفخر

والحكمة ، وليس منها المجمع إذ لم يقع بين أيدينا أبيات له في هذا اللون .

وقد أورد له الأمدى بيتاً يرثى فيه قوماً وهو :

(١) لسان العرب مادة (يقظ) ٦٨ ص ٤٩٦٤

(٢) أورد صاحب كتاب (شعراء ثقيف ..) سبعة أبيات لطريح نقلاً

عن كتاب «نقد الشعر» وكلها من النسيب التقليدي «ألم الفراق والوصف

الحسى لمطالين المرأة»

فله عيشاً من رأى قط حاداً.

كفرس الكلاب الأبيد يوم المصل (١)

وذكر الأمدى أن أبا تمام قد أخذ معنى هذا البيت، فأجاد في الأخذ قال:

من لم يعان أبا نصر وقائله فإراى ضيماً في شدتها - يج

ولكنه عقب على هذا الأخذ الذي رآه فقال: «وهذا معنى متداول،

وقد يجوز أن يكون أخذه الطائي من غير هذا الموضع» (٢)، وهذا -

بالطبع - احتراض يفرضه أمانة الكلمة التي يحرص عليها، ويدعو لها الحسن بن بشر الأمدى.

#### خامساً - خصائص شعره:

١ - لقد تفرق شعر طريح بين أمهات الكتب، ولا بد أن بعضه قد ضاع مع مرور الأيام، ما دام هذا الشعر لم يجمع في ديوان، كما حدث مع بعض الشعراء المقلين ممن هم في مستوى هذا الشاعر، ولكن أحد الباحثين (٣) قد جمع ما استطاع جمعه في فصل من أطروحة جامعية طبعها نادي الطائف الأدبي في كتاب أنيق.

ولكن ذلك لا ينفي أن شعر طريح كان قليلاً بصفة عامة، وهذه سمّة غلبت على شعراء الطائف، فهم قوم حضريون وأهل قرى ومزارع.

٢ - يتميز طريح بتخصسه في شعر المديح، وانفراده بشخص واحد هو الوليد بن يزيد الذي التقى به، وعكف على الإشادة به والاعتذار إليه.

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١٠٠-٨٩.

(٢) المرجع السابق ١٠٠-٨٩.

(٣) هو: عيسى بن عبد الغفور الصواط.

٣ - جاءت الحكمة في شعر طريح متنوعة بين أبيات الشيب والوعظ والنسيب ، أى أن الحكمة توزعت بين أكثر قصائده ومقطوعاته .

٤ - خالف طريح شعراء الطائف ، فلم يبرز شعره في الفخر ، وإن كانت له بعض الأبيات والمقطوعات التي اتسمت في مجموعها بالفخر التقليدى .

٥ - حفلت كتب الأدب والنقد والتاريخ بما ذجج به ديدة من شعر طريح مثل الأغاني وكتب الحماسة ، والبيان والتبيين ، والشعر والشعراء ، ومنهجم الأديباء ، والموازنة ، وغيرها . وهذا ما يؤكد قدرته التي تجاوزت حدود الطائف وانتقلت إلى المدن العربية الكبرى في الشام والعراق .

٦ - وأخيراً .. سبق طريح بن اسماعيل النقي مهما قيل عن شعره ، ومهما كتب عنه أنه الشاعر الذي قال عن الوليد بن يزيد ما لم يقله شاعر آخر في عصر بني أمية ، ولذلك استحق - عن جدارة - أن يكون شاعراً له منذ أن كان أميراً وإلى أن كان خليفة للمسلمين .

## الفصل السابع

### شعراء آخرون

ذكرنا في فصول سابقة — من هذا الباب — أشهر الشعراء في الطائفتين  
من كانوا من تغريف أو غيرها . واحتفظ التاريخ ببعض الأسماء الأخرى  
وهم ليسوا في مرتبة من ذكرناهم . وسوف نعرض في هذا الفصل لثلاثة  
من هؤلاء المقهورين ( شعرياً ) .

#### ١ — القاسم بن أمية :

لقد تأصل الشعر في أسرة أمية بن أبي الصلت ، وسبق أن تحدثنا عنه  
وعن أبيه في الباب الأول . وكنا قد أشرنا أيضاً إلى أن لأمية أربعة أبناء  
منهم اثنان من الشعراء ، وهما ربيعة والقاسم .

أما ربيعة فقد رويت له بعض المقطوعات لكنه لم يكن في شهرة أخيه  
القاسم الذي تعرض له هنا .

وقد عاش القاسم بن أمية بن أبي الصلت في فلك أبيه ، لكنه قد خالفه  
في موقفه من الإسلام ، حيث عاش القاسم في معية الدعوة الإسلامية ،  
ورثى عثمان بن عفان بقصيدة جاء فيها :

لعمري ليس الذبح صبيحتهم به

خلاف رسول الله يوم الأضاحي

فطبيوا نفوساً بالقصاص فإنه

يسمى به الرحمن سمى نجاح (١)

(١) راجع الإحابة في معرفة الصحابة لابن حجر (مادة القاسم) .

كان القاسم واحداً من الشعراء المغمورين في عصر صدر الإسلام ،  
مفهم يكن في المستوى الذي ارتقى إليه أبوه ، أو جده ، ويبدو أنه مارس  
التجارة ، وارتحل إلى مكة ، والتقى بعبدالله بن جعدان ، ذلك الرجل الثرى  
الذى امتدحه أمة بمجموعة من القصائد .

وقد جاء في (الأغاني) و(الشعر والشعراء) أن القاسم مدح ابن جعدان  
أيضاً وقال فيه :

قوم إذا نزل الحريب بدارهم  
تركوه رب صواهل وقيان  
فاذا دعوتهم ليوم كريمة  
سدوا شعاع الشمس بالخرسان  
لا ينقرون الأرض عند سؤاها  
لتطلب العلات بالعيان  
بل يسطون وجوههم فتري لها  
عند السؤال كأحسن الألوان (١)

وأول هذه القصيدة :

قوى ثقيف إن سألت وأسرتى بهم أذافع ركن من عاداني (٢)

وقد أشار القدماء والمحدثون إلى التداخل بين أشعار أسرة أبي الصلت  
مذكروا مثلاً الاضطراب الذى حل بالقصيدة التى قيلت في مدح سيف  
ابن ذى يزن ، فقيل إنها لأمية ، وقيل إنها لأبيه (الصلت بن ربيعة) ، كما  
حدث مثل هذا الاضطراب في القصيدة التى ذكرنا بعض آياتها آنفاً ،  
حيث رواها الآكثرون للقاسم ، بينما ذكر البعض أنها لأمية ، ولذلك  
لا نترتاح للحكم على شعر القاسم ، وهو المعنى بهذا الحديث في ظل هذا  
الاضطراب الذى حل عليه وعلى الشعراء من أسرته .

(١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٦٩ .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٢٤ .



٢- المغيرة بن شعبه :

أسهم بعض الثقات في تصريف أمور الدولة الأموية مثل الحجاج والمغيرة بن شعبه والمختار بن أبي عبيد الثقفي ، ومحمد بن القاسم الثقفي والقاسم ابن عمر الثقفي وغيرهم ، وقد حفظ التاريخ بعض النماذج الشعرية القليلة لمؤلاء وأمثالهم ، ومن هنا يظن البعض أنهم من الشعراء ذوي المواهب الكبيرة في حين أن قدراتهم محدودة جداً في هذا الفن ، وإن كان الرواء قد أعطوهم - لمكانتهم السياسية - أكثر مما يستحقون ، لحفظوا عنهم القليل الذي قالوا ، وغفلوا عن الكثير الذي قاله بعض المنمورين الآخرين .

وكنت قد تصفحت الأغاني فوجدته عقدت رجة مطولة تزيد عن العشرين صفحة للمغيرة بن شعبه ، واستهلها بمقطوعة غزلية له ، فظننت - في أول الأمر - أن شاعرية المغيرة فوق ما أظن ، وإذ قد أجد أن عناية أبي الفرج به لأنه من الساسة الذين تمتلئ حياتهم بالكثير من الطرف والغرائب والمغامرات .

وكان المغيرة بن شعبه بن أبي عامر الثقفي قديراً في الجاهلية قبل الهجرة بعشرين عاماً ، واعتنق الإسلام قبل قومه ، وكان من أذكىاء العرب وقادتهم ، وذو رأي منهم ، واشتهر بالدهاء ، وحين عدو الرأي حتى قيل له : (مغيرة الرأي) ، ولم يمتلج في صيدهم أمر إلا اجتاز أجربهما . وكلفه الرسول ليهدم (اللابي) ، وشهد المغيرة معه إحد بيتة ولم يعدها ، وتحدث أبو الفرج عن بعض مشاهداته فقال : لم يره أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النجف (١) ، وشهد فتح اليمامة وفتح الشام ، وكان أعور ، أصيبته

(١) حصن باليمن تواجد فيه بعض الملوك بن .

عينه في يوم اليرموك، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. فلما أراد  
مراسلة رستم لم يجد في العرب أدهى منه، ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان  
السفير بينهما حتى وقعت الحرب، (١).

وولاه عمرو بن الخطاب عدة ولايات منها البصرة، وهزم الفرس  
بعدها في عدة معارك ثم عزله عنها، وولاه الكوفة، وأقره عثمان عليها  
ثم عزله، ولما يابح معاوية أخاه إلى ولايتها، وبقى بها إلى أن توفي  
سنة خمسين من الهجرة. وقد سار على نهج الأمويين في مباداة الشيعة  
والعلويين، فكان يسب على بن أبي طالب من فوق المنابر، ويعلن قتله  
عثمان بن عفان ويقرحتم عليه.

وكان أبو الفرج قد ذكر له أربعة آيات في مستهل حديثه عنه  
وهي:

أدركته ما تنبأه خلق عليا  
هـ دوك يا بنى النعمان  
إني لحلفك بالصليب مصدق  
والصليب أصدق حلقة الرهبان  
ولقد رددت على المفيرة ذمته  
إني المملوك بطينة الإذعان  
يا منه عليك قد صدقت قاسمك  
والمصدق خير مقاتل الإنسان (٢)  
وقد قلنا هذا الشعر في منتهى بطلان الصليبيات في المنطق قوله، وقد ذكر  
الآخاني — عن الشعبي — مناسبة هذه الألفاظ له فقال: تتركبه المفيرة بن

(١) الآخاني ج ١٦ ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ج ١٦ ص ٧٨.

شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي بدير هند ؛ متصرة ، عمية  
بنت قيس بن سفة . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبه قالت :  
أنت عامل هذه المدرة ؟ نعم الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟  
قال : جئتك خاطباً إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنت جئتني تبنى  
بجلاً أو ديناً أو حساباً أو جناك ، ولكنك أردت أن تجلس في موسم  
من مواسم العرب ، فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ، وهذا  
مؤذي لغيري ، لا يكون أبداً ، أو ما يكفيك غراً أن تكون في ملك النعمان  
وبلاده ، تدبرهما كما تريد ، وبكت - (١) .

وكان المغيرة قد نصح على بن أبي طالب بأن يتي بمعاوية على الشام ،  
فلم يستجب له ، فقال ابن شعبة هذه الآيات :

نصحت علياً في ابن هند نصيحة فرد فلم يسمع له الدهر ثانية ،  
وقلت له أرسل إليه بمهدة على الشام حتى يستقر معاوية  
ويطمئن أهل الشام أن قد ملكته  
فأم ابن هند عند ذلك هاوية  
فلم يقبل النصح الذي جئت به  
وكانت لم تلك النصيحة كافيه (٢)

فهذه الآيات ليست إلا مقطوعة نظمية تفقد خرافة الشعر ، وإن  
وحيث فيها جرأة المغيرة على اثنين من الصحابة الاجلاء . أما المقطوعة  
الاولى ، فمن التي تحسب له في هذا الشعر ، وليس له في مستواها عالم  
بمعرفة له ، وإن كان نتاجه قليلاً جداً .

(١) المرجع السابق ج ١٦ ص ٨٥ .  
(٢) ذكرها كتاب شعراء ثقف ص ٢٦٨ .

٣ - الحجاج بن يوسف الثقفي :

ولد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بالطائف سنة إحدى وأربعين من الهجرة (١) ، ويكنى بأبي محمد . وقد نشأ بالطائف وتثقف بها ، وبدأ حياته العملية معلماً للصبيان ، ثم صار جندياً في جيش الأمويين ، وتولى قتال عبد الله بن الزبير في مكة ، وانتصر عليه ، وانتهت الثورة في الحجاج بمقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، وبعد مقتله صلب الحجاج في أحداث مؤلة أفاضت كتب التاريخ والسيرة في الحديث عنها ، وقد صار الحجاج يدها والياً على الحجاز ، فأظهر للأمويين شجاعته وعنفه ومقدوره في إخماد الثورات في السنوات الثلاث التي استمر فيها والياً على الحجاز ، ثم قلده عبد الملك أسر العسكر في الجيش الأموي ، فقتل على ما كان يهتكي منه عبد الملك من تولى بين الجنود ، في الوقت الذي كانت فيه الثورة ضد الأمويين بالعراق لا زالت مستمرة ، فاهتبل الحجاج الفرصة ، وكتب إلى عبد الملك يقول : « إن في حوز الحجاز شيئاً وبقيت يميني فارقة بفراد عليه ينفذ توليته العراق سنة خمس وسبعين من الهجرة » خلافاً لبشر بن مزوان الذي أمانح من بؤفاته في السنة نفسها لعبد الملك أن يختار والياً مرموقاً بالصلافة والفتن ، فاستجاب له . وكانت له مواقف شديدة مع الخوارج ما كان لغيره أن يقدر على القيام بها وتحمل أعبائها ، وقد بنى مدينة واسط ( في بادية البطح بالعراق ) ومات ودفن فيها سنة خمس وتسعين من الهجرة .

سعدنا النجل من أظهر المظلمة الشافعين في العصر الإسلامي ، وكان يستعين بموهبته الخطافية وقدرته البلاغية لإقناع خصومه بتوحيدهم إلى مايليد .

(١) وقيل سنة ثمان من الهجرة (سفيان . المصنف) ب (١) .

شعره :

لقد تفرق الحجاج بن يوسف في نواح كثيرة أفاضها اليكثيرون فد  
الحديث عنها غير أن موهبتهم في الشعر لم تكن في مستوى قدراته الأخرى  
لأنه من المقلين؛ ولم ترو عنه إلا مجموعة صغيرة من القصائد والمقطوعات  
التي قلما في مناسبات متعددة، وأوردتها بعض المصادر مثل مروج الذهب  
والبداية والنهاية ، والحاسة الصورية وذيل (الإمالو) ووفيات الأعيان  
وغرها .

وقد جمع عينة القصائد التي تيسر الوصول إليه من شعره ، مع ترجمته  
وإيضاح الغامض من الفاظه (١) .

تصور المصنوع جزءاً كبيراً من كتابه (مروج الذهب) الحديث  
عن الحجاج ، ولبيان ماله وما عليه ، وبخاصة الوقائع التي عاشها مع ابن  
الأنشليم، وكان عبد الملك قد استأجر من أسراهم في قتل أسامى دبر الحجاج  
وهو الموقع الذي شهده المولى من لقاءات الحجاج مع ابن الأنشليم ،  
فيكتب إليه رسالة ذمها بصفة أبيات ، وكان أن رد عليه الحجاج بمواعيب  
غنته أيضا بشاية أبيات ، وقد كان المصنوع لا يراها من جيد ما اختاروه من  
شعر الحجاج وهذه هي الأبيات المذكورة ، وليرجع من شاء إلى الرسالة .

قال :

إذا أنا لم أتبع وذاك وأتق  
أفلك غفوى لا تزدك كواكب  
وما لأمرى بهم الطليقة بكم  
تقي من الأمر الذي هو عليه

(١) في كتاب (شراء تنقيح) النص أخرجه دادي الطائفة الأدبي .

أسلم من سالك من ندى قمرية  
ومن لم تساله فإني محسوبة  
إذا فارق الحجاج منك خطيئة  
فقامت عليها في الصباح موادبه  
إذا لم أدرك الشفق لتعصمه  
وأقضى الذي تسمى إلى عقارب  
فمن ذا الذي يرجو نوالى ويتقى  
مساوئى ، والدهر جم نوابه  
فقف في على حد الرضا لا أجوزه  
مدى الدهر حتى يرجع الدو حالي  
وإلا ، فدعنى والأمسور فإني  
شفيق رفيق أحسنى تجاربه (١)  
وذكر القالى في حديثه عن الحجاج أنه لما حضرته الوفاة وأيقن  
الموت ، وأذن للناس فدخلوا عليه أنشأ يقول :  
إن ذنبى وزن السموات والأر  
ض وظنى بخالى أن يحاي  
فلئن من بالرضا فهو ظنى  
وإئن مر بالكتاب عذابى  
لم يكن ذاك منه ظلاً وفل يظ  
لم رب يرجى لحسن الخائب (٢)

(١) مروج الذهب ، للسيهذى ٣٠ ص ١٦٣ تحقيق الدكتور مفيد  
قيحة طبع دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦م - ١٩٨٦م  
(٢) كتاب ذيل الأمل والنوادر ص ١٩١ طبع الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ١٩٧٦م

ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد بن عبد الملك : ربه ؟

أما بعد ، فقد كنت أرعى غنمك أخو ظها حياة الناصح الشفيق برعية موله ، فجاء الأسد فبطش بالراعي ومزق المرعى كل عرق ، وقد نزل بموليك فانزل بأيوب الصابر ، وأرجو أن يكون الجبار أراد بعيدة خضراتنا لخطاياهم وتسكيراً لما حل من ذنوبهم ، ثم كتب في آخر الكتاب .

إذا ما لقيت الله على راضيا

فإن شغاء النفس فيها هنالك

حسبي بقاء الله من كل ميت

وحسبي حياة الله من كل هالك

لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا

وتحس تذوق الموت من بعد ذلك

فإن مت فاذا كرتي بذكر محب

فقد كان جما في رضاك لمساكني

وللا في دبر الصلاة بدعوة

يلقي بها المسجون في نار ماله

عليك سلام الله حيا وميتا

ومن بعد ما تحيا عتيقا ماله (١)

وبعد أن دخل عليه أبو المنذر يعلى بن غلة الجاشعي ، وسأله عن

سكرات الموت ، وعاطبه بما آياه ، رفع رأسه ونظر إليه وأثأ بقوله :

رب إن العباد قد أياسوني

ورباني لك العداة عظيم (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٩١ ، ص ١٩٢

(٢) المرجع السابق ص ١٩٢

ولعل في هذه النماذج ما يكشف عن التوجهات الشعرية لدى الحجاج فهو خطيب متفرد وسياسي بانع جبار، أما الشعر فلم يتجاوز به حدود المستوى الذي وضع في النماذج السابقة . فليس لديه إلا بعض الأشعار التي فرضتها مجموعة من المواقف والمناسبات المتعددة ، ويأتي في مقدمتها ودوده وإجاباته على بعض الخلفاء المروانيين ، ونعني بذلك عبد الملك وابنه (الوليد) ، حول تصريف الأمور الإدارية المتصلة بشؤون الدولة ثم يأتي الموقف الثاني والذي تعرضت فيه شخصية الحجاج من قوتها وجبروتها وأخذت تستند فيه للبوت .

وقد لاحظنا أن أشعار الحجاج لا تتجلى فيها القدرة البلاغية أو الموهبة الشعرية وإنما تظهر عليها ملامح الصنعة والنظم ، ولذا جاءت إلياته ضعيفة فائرة على عكس خطبه التي جاءت قوية ملتبة . كما وضع صدق المعاناة وحساب النفس في الإليات التي قالها عند الموت ، ولذا قال له أبو المنذر المجاشعي : « أعوزت بني مروان ، وأذلكت نفسك ، وعمرت دورهم وأخرت دارك ، فالיום لا ينجونك ولا يغثونك » (١).

وقد لاحظنا أن أشعار الحجاج لا تتجلى فيها القدرة البلاغية أو الموهبة الشعرية وإنما تظهر عليها ملامح الصنعة والنظم ، ولذا جاءت إلياته ضعيفة فائرة على عكس خطبه التي جاءت قوية ملتبة . كما وضع صدق المعاناة وحساب النفس في الإليات التي قالها عند الموت ، ولذا قال له أبو المنذر المجاشعي : « أعوزت بني مروان ، وأذلكت نفسك ، وعمرت دورهم وأخرت دارك ، فالיום لا ينجونك ولا يغثونك » (١).

(١) المرجع السابق ص ١٩٢



## الخاتمة

نعرض في هذه الخاتمة لثلاث قضايا عرضاً موجزاً مختصراً ، لكي  
تستكمل بها خطة الكتاب ومتطلبات الدراسة لقولاء الشعراء الذين  
تحدثنا عنهم :

### ١ - الخصائص العامة لشعراء الطوائف :

لا يشترط أن يتلاقى كل الشعراء في الجاهلية والإسلام تحت مظلة  
هذه الخصائص ، فلا يخفى على أحد أن الشعر من الفنون التي تستحي  
على القيود ، وتأتي الانصياع للقوانين العامة ، كما أن الطوائف بمصيغها  
الجميل تمد أفضل مكان في الجزيرة العربية ، ولهذا أكتب الشعراء رقة  
وعذوبة ولطف غزل ، مثلاً أكتب الأندلس شعراءها رقة وعذوبة  
بجمال المرأة وحسن المشهد وروعه الطبيعة .

• وقد تأثر شعراء الطوائف — في رقة الغزل — بشعراء مكة مثل  
عمر بن أبي ربيعة وغيره ، فالمدائن تقمان في منطقة الحجاز ، والكثرة  
من أهل مكة كانوا — ولا زالوا — يقضون الصيف بالطائف  
وسبق أن ذكرنا أن محمد بن عبد الله النخعي وصف أخت الحجاج  
بالنعم والرفاهية ، لأنها كانت تمشي بمكة ، وتقضي الصيف بالطائف .  
كما أن المرجى — وهو قرشي — عاش في إحدى قرى هذه المدينة  
الجميلة .

• تبين — من خلال الفصول السابقة — تأثر شعراء الطوائف بمدنهم

في طبيعتها وظروفها المناخية وهدوء الحياة الاجتماعية بها — كما تأثروا  
أيضاً — في شيوخ النزل وروقة النسيب يمحض الشعراء في مكة المكرمة،  
فهي أكثر المدن قرىاً من الطائف .

• تميز شعراء الطائف يمحض الأعراس أو الألوان الشعرية التي  
برزوا فيها ، ومن أهمها : شعر النضر ، الذي لا نكاد نجد واحداً من  
المشهورين منهم لم يقل قصائد ومقطوعات فيه فقد برح فيه أمية ويزيد بن  
حبة وغيرهم وأعتقد أن ذلك راجع لسكينة (ثقيف) في الجاهلية والإسلام ،  
فهي أكثر القبائل عدداً وقوة في ذلك الوقت ، كما أن أكثر الشعراء كانوا من  
هذه القبيلة صاحبة الأجداد التاريخية العظيمة ، وترجع عناية الشعراء بالنضر  
والثقة بالنفس لقوة مدينة الطائف التي أشعرت أهلها بالحماية والحصانة  
والتميز ، وهي الصفات التي لم يرق إليها الاكثرون من أهل المدن الأخرى  
وليس بغير عينا قول الشاعر ( الطائفي ) :

نحن بنينا حائطاً حصينا يقارع الأبطال عن بنينا

• وتميز شعراء الطائف بقول الحكمة ، ومن أشهر من برز في هذا  
اللون ذو الإصبع المدوائ وأمية بن أبي الصلت (من الجاهليين) ويزيد بن  
الحكم وطريح الثقفي (من الإسلاميين) . وتأني الحكمة — غالباً — لدى  
الشعراء الذي يتصفون بكثرة المعارف ، والخبرة والتجارب الإنسانية ،  
ففضلاً عن الحياة المستقرة الهادئة التي نعم بها هؤلاء الشعراء وغيرهم من  
أبناء الطائف .

• ولقد تفوق أكثر الشعراء في قول النزل ، وذلك راجع — بصفه  
أساسية — إلى الحياة الناعمة الوارفة ، والفراغ من المشاغل والبعث عن  
الصراعات بسبب الحالة الاقتصادية التي نعم بها الطائفيون ، ثم إن هؤلاء

الشعراء لم يكونوا بعيداً عما يجري في مكة، إذ أنهم تأثروا بمستوى الغزل فيها، وكان معظمهم يتنول وفي ذا كرمته ما قاله عمر بن أبي ربيعة في صويحبائه، وقد لاحظنا التقارب الكبير بين قصيدة العرجي في (كلاية) وقصيدة عمر في (نعم)، ولعل العرجي كان — في بعض الفترات — حلقة الاتصال بين الاعتدال في التشبيب ووصف المرأة الذي انتهجه شعراء الطائفة والإغراق في الحسية وإبراز المحاسن الجسدية التي انتهجها شعراء مكة، أما محمد بن عبد الله النيرى، فكان ذا سلوك متميز حيث اتجه إلى أساليب الغزل عند شعراء البادية، فقال في زينب بنت يوسف ما لم يقله العرجي في أم الأوقص أو كلاية، ولا بد من ذكر أن العرجي من قریش، وعاش فترة من حياته في مكة فهو قريب من شعرائها، بل لا يكاد يختلف عنهم إلا بمقدار الفوارق بين الشخصيات في المنطقة الواحدة.

• أفاض شعراء الطائفة في المدح، وهو من الفنون العامة التي يندر أن تجد شاعراً لم يقل فيه شيئاً، فلقد مدح أمية عبد الله بن جعدان، وامتدح الشاعران يزيد بن ضبة وطريح الثقفي الوليد بن يزيد، كما امتدح النيرى عبد الملك بن مروان بينما امتدح يزيد بن الحكم سليمان بن عبد الملك، ويلاحظ أن عناية شعراء الطائفة كانت موجهة إلى مدح الخلفاء الأمويين، وليس مخافياً ما كان بين (ثقيف) ونظام الحكم الأموي.

• أما الحر فلم يقل فيها أحد مثل ما قال أبو محسن الثقفي، فقد شربها وتغافى في الحديث عنها حتى أنه أوصى بأن يدفن إلى جنب كرمة تروى عظامه بعد موته، ويسدو أن شهرة الطائفة في زراعة العنب وصناعة الزبيب قد انعكست عليه، فشربها، وتحدث عنها في شعره كثيراً.

• ولسوف نتعنح بقية الخصائص في السطور التالية.

٢ — موازنة بين شعراء الطائفتين الجاهلية وشعرائها في الإبتلاء .

• يلاحظ من خلال فصول الكتاب قلة الشعراء في الجاهلية ، فلم يكن بينهم من يستحق أن يطلق عليه لقب شاعر إلا اثنين أو ثلاثة ، ولما أهلت أنوار الإسلام ، وأقبل المكيون على الطائفتين كثر الشعراء بها بدرجة محدودة هم لأن وجود قبيلة تعيف بالطائفتين أسهم في تزايد أعداد المتصورين من الشعراء حيث أقبل الزواة وحفظت الشعر على تسجيل ما قاله التعفيون ولو كن قليلا نافها .

• أما موضوعات الشعر في الجاهلية فلا تكاد تختلف عنها في الإسلام باستثناء شيء واحد وهو الشعر الديني الذي تميز به أمية بن أبي الصلت ، فلم يوجد في الجاهلية أو في الإسلام من تأثر به أو نهج نهجه أو قال مثل كلامه ولا زال أمية منفرداً في هذه الأشعار أما الدافع إليها فكان طمعه في النبوة ، وإطلاعه على الثقافات القديمة ، وقراءته لبعض أفكار الأمم الأخرى .

• أما بالنسبة للألفاظ فلدينا ملاحظتان عليها ، ففي الجاهلية تميز شعر أمية بتوليد كلمات ليست لها جذور عربية ، فقد سمي السماء (ساقورة) و (ساقورة) وكان يزعم أن القمر خلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه (الساهور) كما كان يسمى الله عز وجل السلطيط (و (التفرون) ونحو ذلك . وكأنه أراد التفرد والتميز على شعراء عصره ، ويبدو أن طمعه في النبوة وثقافته العميقة قد أتاحا له أن يقول ما لم يقله العرب .

والملاحظة الثانية : أن الشاعر (يزيد بن ضبة) قد قال بعض الشعر الذي لا يسير بألفاظه بطائفة العصر الإسلامي ، وكأنه أقنيس كثير من مفرداته من البادية أو من العصر الجاهلي .

٣ - أم النتائج التي تستفاد من هذا الكتاب .

• تتميز الطائفة بقلة الشعر وكثرة الشعراء في العصر الإسلامي بصفة خاصة ، حيث أسهمت المتغيرات الجديدة في إفراز بعض الشعراء من ذوى الكفاءات والمواهب المحدودة .. وكان لقبيلة تقيف دور في ذلك حيث برزت على الساحة العربية في الجاهلية وعصر بني أمية ، و زاد نفوذها في القرن الأول الهجري ، وأصبح بعض الخلفاء الأمويين من هذه القبيلة ، وأخذوا هم وأبنائهم يحتفلون بالشعراء من أهل الطائفة ومن قبيلة ( تقيف ) بخاصة ، كما أن الرواة وأهل الأدب قد أحاطوا بخلفاء الخلفاء والأمراء - الذين يرتبطون بتقيف بعلاقات خاصة - لجلسوا إليهم ، واستمعوا إلى ما يقوله الشعراء فهم ، وأخذ الرواة هذه الأشعار لحفظوها ونقلوها إلى سائر الناس .

• كان لارتباط الشعراء بالقائمين على نظام الحكم في بني أمية أن ظهرت المسحة السياسية على كثير من أشعار الطائفة .

• لم يصل شعراء الطائفة إلى مستوى الفحول الشعرية ... لا في الجاهلية ولا في الإسلام .. واعتقد أن ذلك راجع في المقام الأول إلى جدو الحياة في منطقته الطائفة وعدم قيام سروب طويلة بها حسب حقبة ابن سلام ... ولما عرض هذا الرجل لشعراء الطائفة اختار بعض الأسماء التي لم تصل إلى هذه الدرجة ولم تحسم أيرو الصلت بن ربيعة جرابه أمية وأبو عبيد الثقفي وغيلان بن سلسة وكنانة بن عدي ياليل . ولم يذكر شيئا من الشعر للثلاثين الآخرين .

وبالنظر إلى هذه الأسماء لا نجد من بينها من احتل منزلة كبيرة إلا أمية وأبا عبيد الثقفي ، ثم توقف اختيار البعض عند مرحلة معينة ولم يتجاوزها .

• ارتبط شعراء الطوائف ببيتهم، وانعكس ذلك على المعاني والإلفاظ.

أما المعاني فلم تأت مخالفة لروح الشريعة الإسلامية، ولدينا شعر النيرى (محمد بن عباد الله) الذي ماخرج عن طبيعة البيئة وأحكام الدين في غزله. يؤنبه بنى يوسف، حتى أحملة الموضع التي أوردته في غزله. وفي سائر شعره اختارها من البيئة التي يعيش بها. ولم يخرج بألفاظه عن حدود الاستعمال العربي للكلمات أما ابن أبي الصلت فكان غروجه على الاستعمال العربي للفردات كثيراً في شعره الذي كما سبق القول ..

- أهم المصادر والمراجع
- ١ - الأثر في الألقاب الطائفة للأثير الشكيب أرسلان نشر مكتبة المطبوعات الطائفية . . .
  - ٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير طبع دار الشعب عام ١٩٧٠ م .
  - ٣ - أشعار الشعراء الستة الجاهليين (بحث للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن الشاعر أمية بن أبي الصلت) . دار الآفاق بيروت ١٩٧٩ م الطبعة الأولى .
  - ٤ - الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني ( طبع دار نهضة مصر ) .
  - ٥ - الأعلام - خير الدين الزركلي ، طبع دار العلم للملايين - بيروت عام ١٩٨٤ الطبعة السادسة .
  - ٦ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني طبعة دار الكتب المصرية .
  - ٧ - أمالي الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون - المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر - الطبعة الأولى عام ١٣٨٢ هـ .
  - ٨ - أمالي المرتضى - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - طبع عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) الطبعة الأولى .
  - ٩ - إهداء الطوائف من أخبار الطوائف لحسن بن علي العجمي تحقيق يحيى ساعى نشر دار ثقيف بالطائف - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) الطبعة الثانية .

- ١٠ - البداية والنهاية لابن كثير ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) الطبعة الأولى .
- ١١ - بهجة المبع في بعض فضائل الطائف ووج لأحمد بن علي الميورقي تحقيق الدكتور إبراهيم الزيد ، طبع نادي الطائف الأدبي ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) الطبعة الأولى .
- ١٢ - البيان والتبيين ، للحافظ - تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي بمصر ، الطبعة الرابعة .
- ١٣ - تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - طبع دار الهلال .
- ١٤ - تاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات الطبعة الخامسة والعشرون .
- ١٥ - تاريخ الأدب العربي د . ر بلاشير - ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني - طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) الطبعة الثانية .
- ١٦ - تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، طبع دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، الجزء الأول .
- ١٧ - تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي - دكتور شوقي ضيف . طبع دار المعارف بمصر الطبعة التاسعة ١٩٨١ م .
- ١٨ - تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - دكتور شوقي ضيف . طبع دار المعارف بمصر الطبعة التاسعة ١٩٨١ م .
- ١٩ - تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - عمر فروخ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ الطبعة الخامسة .
- ٢٠ - تاريخ الطوائف قديماً وحديثاً - فتاح طحاوي القسطنطينية - نادي الطائف الأدبي .



- ٢١ - تحفة الطائف في فضائل الخبير ابن عباس ووجع الطائف لمحمد  
الحاشمي طبع نادي الطائف الادبي تعليق ومراجعة محمد سعيد كمال ومحمد  
منصور الشقحاء .
- ٢٢ - تطور النزول بين الجاهلية والإسلام للدكتور شكرى فيصل -  
طبع دار العلم للطالين - الطبعة السادسة .
- ٢٣ - جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي تحقيق علي البجاوي -  
طبع دار نهضة مصر .
- ٢٤ - زهر الآداب لأبي إسحاق المصري ، تحقيق علي البجاوي .  
طبع عيسى الخليلي - الطبعة الثانية .
- ٢٥ - حديث الأربعماء للدكتور طه حسين - طبع دار المعارف -  
الطبعة الثانية عشرة .
- ٢٦ - الحيوان الجاحظ - تحقيق عبد السلام مازون طبع مصطفى  
الخلي ، الطبعة الثانية .
- ٢٧ - دائرة المعارف الإسلامية - نشر تهراني - المجلد  
الخامس عشر .
- ٢٨ - ديوان أبي محمد النقي - صنعة أبي ملاك السكري - نشر  
الدكتور صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت .
- ٢٩ - الرسالة ( مجلة ) السنة ١٩ - العدد ١٩٤ - أيلول يناير ١٩٥١ م .
- ٣٠ - رسالة النفران - تحقيق كامل كيلاني - طبع ونشر مطبعة  
المعارف ومكتبتها بمصر .
- ٣١ - رسالة النفران - تحقيق الدكتور فؤاد الطهطاوي -  
طبع دار المعارف ١٩٨١ م الطبعة السابعة .

٣٢ - الروض الآنف للسبيل نشر مكتبة الكليات الأزهرية  
بالصنادقية.

٣٣ - سخط اللال في شرح أمالي الغالي ، لأبي عبيد البكري - طبع  
دار الحديث - بيروت ١٤٠٤ هـ ( ١٩٨٤ م ) تحقيق عبد العزيز المينقي .

٣٤ - سوق عكاظ في التاريخ والأدب - إعداد لجنة من نادي  
الطائف الأدبي الطبعة الأولى .

٣٥ - السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق الدكتور  
أحمد حجازي نشر دار التراث العربي ١٣٩٩ هـ ( ١٩٧٩ م ) .

٣٦ - شرح ديوان امرئ القيس لحسن السندوني - المكتبة الثقافية -  
بيروت ١٤٠٢ هـ ( ١٩٨٢ م ) الطبعة السابعة .

٣٧ - شرح ديوان أمية بن أبي الصلت تحقيق سيف الدين الكاتب  
وأحمد عصام الكاتب - نشر دار مكتبة الحياة - بيروت .

٣٨ - شرح ديوان الحناسة لأبي علي المرقوق تحقيق أحمد أمين  
وعبد السلام هارون ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - طبعة الثانية  
١٣٨٧ هـ ( ١٩٦٧ م ) .

٣٩ - شرح المفضليات - للتبريزي تحقيق علي البجاوي ، طبع دار  
نهضة مصر .

٤٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة - تحقيق أحمد شاكر ١٩٧٧ م  
الطبعة الثالثة .

٤١ - شعراء تنيف في العصر الأموي جمع وتحقيق ودراسة لميمنة  
ابن عبد القفور الصواط - طبع نادي الطائف الأدبي .

٤٢ - شعراء النصرانية ، لويس شيخو - نشر مكتبة الأدبية  
بالبهامين .

( ١٣ - شعراء )

- ٤٣ — الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام للدكتور نادية حسن صقر — نشر دار الشروق مجدة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)، الطبعة الأولى.
- ٤٤ — الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية للدكتور عبد الجبار منسى — نشر دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م، الطبعة الأولى.
- ٤٥ — طبقات غول الشعر لابن سلام الجمحي — تحقيق محمود شاكر — مطبعة المدني بالعباسية.
- ٤٦ — العقد الفريد لابن عبد ربه — تحقيق محمد سعيد الريان — نشر دار الفكر.
- ٤٧ — العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — طبع دار الجيل — بيروت ١٩٧٢ م، الطبعة الرابعة.
- ٤٨ — فتوح البلدان للبلاذري — تحقيق صلاح الدين المنجد — نشر مكتبة النهضة المصرية.
- ٤٩ — في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين — دار المعارف بمصر — الطبعة الرابعة عشرة.
- ٥٠ — في منزل الوحي للدكتور محمد حسين هيكل — دار المعارف بمصر — الطبعة السابعة.
- ٥١ — الفيل (مجلة شهرية تصدر بالرياض) السنة الأولى — العدد الرابع شوال ١٣٩٧ هـ (سبتمبر ١٩٧٧ م).
- ٥٢ — فيض الخاطر — لأحمد أمين — نشر مكتبة النهضة المصرية.
- ٥٣ — الكامل للبرد — تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم — طبع دار النهضة مصر.
- ٥٤ — كتاب أسماء جبال تهامة لعرام بن الأصم (ضمن المجلد الأول)

- مجموعة مواد المخطوطات لعبد السلام هارون . طبع مصطفى الحلبي  
١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) الطبعة الثانية .
- ٥٥ — كتاب الأمان والذيل والتنبيه لأبي علي القاسم . طبع الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م ١٥ وعام ١٩٧٦ — ٢٠٠٠ .
- ٥٦ — لسان العرب لابن منظور طبع دار المعارف .
- ٥٧ — ما رأيت وما سمعت لغير الدين الزركلي — نشر مكتبة المعارف  
بالبطائف .
- ٥٨ — مروج الذهب للسعدي ، شرح الدكتور مفيد قنينة — دار  
الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) الطبعة الأولى .
- ٥٩ — معجم الأدباء لياقوت الحموي — نشر دار المأمون — طبع دار  
لأحياء التراث العربي .
- ٦٠ — معجم البلدان لياقوت الحموي . طبع دار صادر بيروت  
١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .
- ٦١ — معجم الشعراء للبرزباني — الطبعة الأولى — نشر مكتبة  
القدس طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) الطبعة الثانية .
- ٦٢ — معجم ما استعجم للبكري الأندلسي تحقيق مصطفى السقا —  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .
- ٦٣ — المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي  
— دار العلم للملايين الطبعة الرابعة — بيروت ١٩٧٠ م .
- ٦٤ — المنهل (مجلة سعودية تصدر في جدة) المجلد السادس العدد  
العاشر شوال ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) :
- والسنة (٤٨) (جهدى الأولى والثانية ١٤٠٢ هـ) (مارس وإبريل ،  
١٩٨٢ م) بالإضافة إلى مجموعة من الأعداد الأخرى .

٦٥ - الموازنة بين أبي تمام والبحتري للأمدى تحقيق محمد عبي الدين  
عبد الحميد المكتبة العلمية - بيروت .

٦٦ - المؤلف والمختلف للأمدى - ضمن كتاب معجم الشعراء الذى  
سبق ذكره .

٦٧ - نشر الطائيف في قطر الطائيف لعلي بن محمد الكنانى تحقيق عثمان  
محمود العيسى - طبع نادى الطائيف الادبى ١٤٠٦ هـ ( ١٩٨٦ م ) .

٦٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى ( نسخة مصورة عن  
طبعة دار الكتب ) .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٧	تمهيد (عن الطائفة)
٧٧ - ٧٣	الباب الأول
٢٤	الفصل الأول (أمية بن أبي الصلت)
٢٤	١ - شاعر متفرد
٢٦	٢ - صاحب عقيدة متميزة
٣٠	٣ - مكانته الشعرية
٣٣	٤ - خصائص شعره
٤٢	٥ - أغراض شعره
٥٣	الفصل الثاني ذو الإصبع الدواني
٥٣	١ - مسيرة حياته وشعره
٥٩	٢ - موضوعات شعره
٦٢	٣ - الإعجاب بشعره
٦٣	٤ - خصائص شعره
٦٥	الفصل الثالث (شعراء آخرون)
٦٥	أولاً - غيلان بن سلمة
٧١	ثانياً - كنانة بن عبد ياليل
٧٥	ثالثاً - أبو الصلت الثقفي
٧٩ - ٧٧	الباب الثاني
٨٠	الفصل الأول (أبو محبس الثقفي)
٨٠	١ - أطراف من حياته

الصفحة	الموضوع
٨٨	٢ — الفروسية والفخر
٩١	٣ — أغراض شعره
٩٦	٤ — خصائص شعره
٩٨	٥ — الفصل الثاني مح. بن عبد الله القيرى
٩٨	١ — مولده ومثله ووفاته
٩٩	٢ — الغزل في زينب بنت يوسف
١٠٧	٣ — مع الحجاج
١٠٨	٤ — أغراض شعره
١١٠	٥ — خصائص شعره
١١٣	٦ — الفصل الثالث يزيد بن الحكم
١١٣	١ — تحقيق نسبه وشاعريته
١٢١	٢ — أغراضه الشعرية
١٢٩	٣ — الفصل الرابع : العرجى (عبد الله بن عمر)
١٢٩	١ — بين مكة والطائف
١٣٠	٢ — حياته الأولى
١٣٧	٣ — حياته الثانية
١٤١	٤ — تقويم شعره
١٤٤	٥ — بين العرجى وعمر بن أبي ربيعة
١٤٥	٦ — الفصل الخامس : يزيد بن ضبة
١٤٥	١ — إطلالة على حياته
١٥٠	٢ — أغراض شعره
١٥٤	٣ — خصائص شعره
١٥٦	٤ — الفصل السادس طريح بن إسماعيل الثقفى
١٥٦	أولا — أطراف من حياته

الموضوع	الصفحة
ثانياً - طريح وخلفاء بني أمية	١٥٨
ثالثاً - طريح وخلفاء بني العباس	١٦٤
رابعاً - أغراضه الشعرية	١٦٦
خامساً - خصائص شعره	١٧٢
الفصل السابع - شعراء آخرون	١٧٤
١ - القاسم بن أمية	١٧٤
٢ - المعيرة بن شعبة	١٧٦
٣ - الحجاج بن يوسف	١٧٩
الخاتمة	١٨٤
١ - الخصائص العامة لشعراء الطائفة	١٨٤
٢ - موازنة بين شعراء الطائفة في الجاهلية وشعرائها في الإسلام	١٨٧
٣ - أهم النتائج التي تستفاد من هذا الكتاب	١٨٨
قائمة بأسماء المصادر والمراجع	١٩٠
الفهرس	١٩٧



رقم الإيداع بدار الكتب  
٨٦٤٣ / ١٩٨٩ م